

# مركز جيل البحث العلمي

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية



مجلة علمية دولية محكمة تصدر شهريا عن مركز جيل البحث العلمي

Lebanon – Tripoli: Branche P.O. Box Abou Samra - [www.jilrc.com](http://www.jilrc.com) - [social@journals.jilrc.com](mailto:social@journals.jilrc.com)



ISSN 2311-5181 DOI Prefix:10.33685/1316 العام الحادي عشر - العدد 109 - سبتمبر 2024



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المشرفة العامة / أ.د. سرور طالبي

المؤسس ورئيس التحرير: د. جمال بلبكاي

www.jilrc.com - social@journals.jilrc.com

DOI Prefix:10.33685/1316

### التعريف بالمجلة:

مجلة علمية دولية محكمة ومفهرسة عالميا تصدر شهريا عن مركز جيل البحث العلمي تعنى بالدراسات الإنسانية والاجتماعية، بإشراف هيئة تحرير مشكلة من أساتذة وباحثين وهيئة علمية تتألف من نخبة من الباحثين وهيئة تحكيم تتشكل دوريا في كل عدد.

### اهتمامات المجلة وأبعادها:

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية عبارة عن مجلة متعددة التخصصات، تستهدف نشر المقالات ذات القيمة العلمية العالية في مختلف مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية.

تعرض المجلة جميع مقالاتها للعموم عبر مواقع مركز جيل البحث العلمي، بهدف المساهمة في إثراء موضوعات البحث العلمي.

### مجالات النشر بالمجلة:

تنشر المجلة الأبحاث في المجالات التالية: علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا، علم الاجتماع، الفلسفة التاريخ، علم المكتبات والتوثيق، علوم الإعلام والاتصال، علم الآثار.

تنشر مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية البحوث العلمية الأصيلة للباحثين في هذه التخصصات كافة مكتوبة باللغة العربية أو الفرنسية أو الإنجليزية.

### هيئة التحرير:

- أ.د. سامية ابريغم (جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر)  
أ.د. عاصم شحادة علي (الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا)  
أ.د. علي صباغ (جامعة قسنطينة2، الجزائر)  
د. حنان شعشوع محمد الشّبري (جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية)  
د. صونيا عيواج (جامعة باتنة1، الجزائر)  
د. يزيد شويعل (جامعة المدية، الجزائر)  
د. يوسف جاب الله (جامعة المدية، الجزائر)

### ضبط ومراجعة:

أ. رؤوف أحمد المل (الجامعة اللبنانية، طرابلس)

رئيس اللجنة العلمية: أ.د. سامية شينار (جامعة باتنة1، الجزائر)

### اللجنة العلمية:

- أ.د. أبكر عبد البنات آدم (جامعة بحري، السودان)  
أ.د. باللموشي عبد الرزاق (جامعة الوادي، الجزائر)  
د. بن حجوبة حميد (جامعة مستغانم، الجزائر)  
د. زين العابدين عبد الحفيظ (جامعة خميس مليانة، الجزائر)  
د. عبد الله ملوكي (جامعة سطيف2، الجزائر)  
د. علة المختار (جامعة الجلفة، الجزائر)  
د. محمد البشير رازقي (كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس)  
د. نجوى نايف عبد النبي شكوكاني (الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا)  
د. هاني إسماعيل رمضان (جامعة جيسون، تركيا)

### أعضاء اللجنة التحكيمية الاستشارية لهذا العدد:

- أ.د. سامية شينار (جامعة باتنة1، الجزائر)  
أ.د. حسان سخسوخ (جامعة أم البواقي، الجزائر)  
أ.د. مسعودي طاهر (جامعة الجلفة، الجزائر)  
د. إبراهيم إسماعيل عبده محمد (جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية)  
د. إخلص محمد عبد الرحمن (جامعة الجزيرة، السودان)  
د. بن حجوبة حميد (جامعة مستغانم، الجزائر)  
د. حسن زربية (جامعة قفصة، تونس)  
د. سعيد علي (جامعة نغاونديري، الكاميرون)  
د. علي سلطاني العاتري (جامعة تبسة، الجزائر)

# شروط النشر



تقبل المجلة الأبحاث والمقالات التي تلتزم الموضوعية والمنهجية، وتتوافر فيها الأصالة العلمية والدقة والجدية وتحترم قواعد النشر التالية :

- أن يكون البحث المقدم ضمن الموضوعات التي تعنى المجلة بنشرها.
- ألا يكون البحث قد نشر أو قدم للنشر لأي مجلة، أو مؤتمر في الوقت نفسه، ويتحمل الباحث كامل المسؤولية في حال اكتشاف بأن مساهمته منشورة أو معروضة للنشر.
- أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:
  - عنوان البحث باللغة العربية والإنجليزية.
  - اسم الباحث ودرجته العلمية، والجامعة التي ينتمي إليها، باللغة العربية والإنجليزية.
  - البريد الإلكتروني للباحث.
  - ملخص للدراسة في حدود 150 كلمة وبحجم خط 12، باللغة العربية والإنجليزية.
  - الكلمات المفتاحية بعد الملخص.
- أن تكون البحوث المقدمة بإحدى اللغات التالية: العربية، الفرنسية والإنجليزية.
- أن لا يزيد عدد صفحات البحث على (20) صفحة بما في ذلك الأشكال والرسومات والمراجع والجداول والملاحق.
- أن يكون البحث خالياً من الأخطاء اللغوية والنحوية والإملائية.
- أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامها على النحو الآتي:
  - اللغة العربية: نوع الخط (Traditional Arabic) وحجم الخط (16) في المتن، وفي الهامش نفس الخط مع حجم (12).
  - اللغة الأجنبية: نوع الخط ( Times New Roman ) وحجم الخط (14) في المتن، وفي الهامش نفس الخط مع حجم (10).
  - تكتب العناوين الرئيسية والفرعية للفقرات بحجم 16 نقطة مثلها مثل النص الرئيسي لكن مع تضخيم الخط.
- أن تكتب الحواشي بشكل نظامي حسب شروط برنامج Microsoft Word في نهاية كل صفحة.
- أن يرفق صاحب البحث تعريفا مختصرا بنفسه ونشاطه العلمي والثقافي.
- عند إرسال الباحث لمشاركته عبر البريد الإلكتروني، سيستقبل مباشرة رسالة إشعار بذلك .
- تخضع كل الأبحاث المقدمة للمجلة للقراءة والتحكيم من قبل لجنة مختصة ويلقى البحث القبول النهائي بعد أن يجري الباحث التعديلات التي يطلبها المحكمون.
- لا تلتزم المجلة بنشر كل ما يرسل إليها .

**ترسل المساهمات بصيغة الكترونية حصراً على عنوان المجلة:**

**social@journals.jilrc.com**

## الفهرس

### الصفحة

- |    |   |
|----|---|
| 7  | • الافتتاحية  |
| 9  | • حول تبينة علم الاجتماعي الثقافي بالعالم العربي: قراءة في تفكير محمود الذوايدي، محمد بالراشد (جامعة جندوبة، تونس)  |
| 33 | • المدينة كمختبر للمقاومة والاحتجاج الاجتماعي بالمغرب: حالة مدينة الرباط، عبد الإله باحمو (جامعة ابن طفيل، المغرب)  |
| 53 | • دور مُعلمي الدراسات الاجتماعية في تعزيز أبعاد التربية المواطنة لدى طلبة التعليم الأساسي بسلطنة عمان، حميد بن مسلم بن سعيد السعيدي، وزارة التربية والتعليم، سلطنة عمان |
| 81 | • السكن والسكان ببلاد زعير خلال القرن التاسع عشر، ميلود سواملة (جامعة ابن طفيل، المغرب)   |
| 93 | • جهاد المرأة الجزائرية في الثورة (الجندي الخفي)، فارس هادية (جامعة 9 أفريل 1938، تونس)   |

## الافتتاحية

في عالم يزداد تعقيداً وتنوعاً، تظل القضايا الاجتماعية والثقافية في الوطن العربي محط اهتمام الباحثين والمفكرين، حيث يسعون إلى فهم أعمق للتحديات والتحول التي تشهدها مجتمعاتنا، وفي العدد التاسع بعد المائة (109) من مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، نحثي بنخبة من الأبحاث التي تلامس قضايا حيوية، تمثل انعكاساً للتاريخ والحاضر، وتستشرف مستقبلاً أكثر وعياً وتفاعلاً مع متطلبات الواقع العربي.

تناول المقال الأول " تبينة " علم الاجتماع الثقافي بالعالم العربي: قراءة في تفكير محمود الذواودي، حيث يقدم قراءة نقدية لجهود الذواودي في تبينة علم الاجتماع الثقافي وتكييفه مع خصوصيات العالم العربي.

ليستعرض المقال الثاني " المدينة كمختبر للمقاومة والاحتجاج الاجتماعي بالمغرب " ويشرح كيف أصبحت المدن العربية، وخاصة مدينة الرباط، فضاءً للتعبير عن المقاومة الاجتماعية والاحتجاج، مسلطاً الضوء على ديناميكيات الحراك الاجتماعي والسياسي داخل الفضاءات الحضرية.

أما المقال الثالث فلقد تناول " دور مُعلمي الدراسات الاجتماعية في تعزيز أبعاد التربية المواطنة لدى طلبة التعليم الأساسي " موضحة أهمية دور المعلمين في غرس قيم المواطنة والهوية الوطنية في نفوس الأجيال الناشئة، ويطرح استراتيجيات وأساليب تعليمية فعالة لتحقيق هذا الهدف في النظام التعليمي.

كما تضمن العدد دراسة تاريخية فريدة عن " السكن والسكان ببلاد زعير خلال القرن التاسع عشر"، حيث غاصت في التاريخ الاجتماعي لزعير، مع توضيح أنماط السكن والتوزيع السكاني في تلك الفترة الحرجة، وتأثير ذلك على النسيج الاجتماعي والثقافي.

لنختم العدد بدراسة ملهمة حول " جهاد المرأة الجزائرية في الثورة (الجندي الخفي) "، هذا المقال يحتفي بدور المرأة الجزائرية في الثورة التحريرية الكبرى، كاشفاً عن الشجاعة والمقاومة التي أظهرتها النساء في الكفاح من أجل الحرية.

نأمل أن تجدوا في هذه المقالات إضافة نوعية تُثري معرفتكم وتفتح آفاقاً جديدة للتفكير والنقاش. إن الأبحاث التي نقدمها لكم في هذا العدد تمثل جسوراً للتواصل مع قضايا الماضي والحاضر، وتسعى نحو استشراف مستقبل يتسم بالوعي والتجديد.

**والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل،،،**

**رئيس التحرير / د. جمال بلبكي**

**تخلي أسرة تحرير المجلة مسؤوليتها عن أي انتهاك لحقوق الملكية الفكرية  
لا تعبر الآراء الواردة في هذا العدد بالضرورة عن رأي إدارة المركز  
© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي**

حول تبينة علم الاجتماعي الثقافي بالعالم العربي: قراءة في تفكير محمود الذوادي  
A Reading into Mahmoud al-Thawadi's Thought in the Integration of Cultural  
Sociology in the Arab world.

د. محمد بالراشد (جامعة جندوبة، تونس)

Dr. Mohamed Berrached, (University of Jendouba, Tunisia)

**Abstract :**

This study deals with the process of integrating cultural sociology in the Arab Muslim world based on the work of the Tunisian sociologist Mahmoud al Thawadi (Dhaouadi) represented in his concept/theory of the Human Symbols/HS. We try in this article to underline the features on which the HS theory stands. The theory brings innovation in sociological approaches to questions raised by current sociology, on the one hand, and the present reality of the Arab world, on the other. We will seek also to know the role of this theory in understanding some of the socio-cultural phenomena examined by al-Thawadi. This paper focuses on what the latter calls the Other Underdevelopment/OU and the status of Arabic in the Tunisian society as a way to understand the Tunisian basic personality with the help of a rich set of other concepts developed by al-Thawadi such as the feminine franco-arabe, the third human dimension, the conspiring bilingualism etc...

**Key words:** cultural sociology, the Other Underdevelopment, concepts innovation, Arab sociology, Tunisian society and personality.

## مستخلص:

تتناول هذه الدراسة عملية توطين علم الاجتماع الثقافي بالعالم العربي الإسلامي انطلاقاً من أعمال عالم الاجتماع التونسي محمود الذواودي التي تركّزت حول الرموز البشرية. فالرموز البشرية التي منحت البشر السيادة في العالم، لا تحظى بتقدير كبير في المنطقة العربية سواء لدى النخب السياسية أو الفكرية.. فعلى سبيل المثال لا تحظى اللغة الأمّ باهتمام كبير، فهي ليست لغة العلم ولا لغة التكنولوجيا، وهي أيضاً ليست لغة التعامل اليومي بين المواطنين فعمليات مزجها بلغة موليير في المغرب الكبير تبين بوضوح عمق الأزمة النفسية التي تطبع شخصية المغاربة في علاقتهم بلغتهم الأمّ. في هذه الدراسة سنحاول التوقف عند أبرز المعالم التي تنبني عليها نظرية الرموز البشرية كنظرية تنشُد التجديد في المقاربات الاجتماعية بما يستجيب للأسئلة التي يطرحها راهن علم الاجتماع من جهة وواقع المنطقة العربية من جهة أخرى. كما سنسعى إلى تبين دورها في فهم بعض الظواهر الاجتماعية كما اشتغل على ذلك صاحب النظرية، بحيث سيتمّ التركيز على "التخلّف الآخر" وعلى موقع اللغة الأمّ بتونس باعتباره مدخلاً لفهم الشخصية التونسية. اعتماداً على جهاز مفاهيمي ثري تضمّن شبكة مفاهيمية مترابطة ومتطورة بدأت بالرموز الثقافية، ووصلت إلى البعد الثالث مروراً بالفرنكواراب الأنثوية وصولاً إلى ازدواجية اللغوية الأمّارة وضعف التعريب النفسي عمل عالم الاجتماع التونسي محمود الذواودي على فهم ظواهر اجتماعية وسلوكية متنوّعة وتفسيرها.

الكلمات المفتاحية: علم الاجتماع الثقافي، التخلّف الآخر، التجديد المفاهيمي، علم الاجتماع العربي، المجتمع التونسي والشخصية.

## مقدمة:

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف عند حضور علم الاجتماع الثقافي على الساحة الأكاديمية بالمنطقة العربية من خلال نموذج عالم الاجتماع التونسي محمود الذواودي، وذلك لما أولاه هذا الأخير من اهتمام لعلم الاجتماع الثقافي، ساعياً من خلاله إلى تفسير سلوكيات البشر (أفراداً وجماعات) وحركية المجتمعات الإنسانية، وخاصة العربية منها. فعلم الاجتماع الثقافي عند محمود الذواودي يوفّر مدخلاً لتجديدين على الأقل، يتعلّق أولهما بفهم ظاهرة التخلّف ويتّصل الثاني بفهم شخصية البشر في مجتمع معين. ومن خلال نظريته المسماة

نظرية الرموز البشرية<sup>1</sup>، سعى الذواودي إلى تبيئة علم الاجتماع الثقافي في العالم العربي الإسلامي مستخدماً جهازاً مفاهيمياً مترابطاً عمل من خلاله على فهم وتفسير ظواهر وسلوكيات البشر بالمغرب العربي كما بالمشرق.

## 1. نظرية الرموز البشرية ومفاهيمها:

### 1.1 النظرية:

النظرية عبارة عن "تفسيرات /شروحات لسلوك طبيعي أو اجتماعي أو لحدث أو لظاهرة. وبشكل أكثر رسمية فإن النظرية العلمية تتكوّن من نظام من البنيات أو التركيبات (المفاهيم) واقتراحات (العلاقة بين تلك البنيات)، والتي تقدّم بشكل كليّ تفسيراً / شرحاً منطقيّاً ومنظماً ومنهجياً متماسكاً للظاهرة محلّ الاهتمام من خلال بعض الافتراضات والشروط المحدّدة<sup>2</sup>. وتقدّم النظريات الكثير من الفوائد عند استخدامها في البحث. تتمثّل الفائدة الأولى في أنّ النظريات "تقوم بتوفير السبب/ المنطق الرئيسي لحدوث الظاهرة الطبيعيّة والاجتماعيّة من خلال توضيح الدوافع الرئيسيّة والنتائج الرئيسيّة للظاهرة المنشودة والسبب وراءها، والعوامل الرئيسيّة المسؤولة عن وقوع تلك الظاهرة"<sup>3</sup>. أمّا الفائدة الثانية فتتمثّل في أنّ النظرية تساعدنا على "توضيح المعنى من خلال مساعدتنا على تركيب وبناء النتائج التجريبيّة المسبقة داخل إطار نظري والتوفيق بين النتائج المتناقضة من خلال اكتشاف العوامل المحتملة التي من شأنها أن تؤثر على العلاقة بين بنيتين في الدراسات المختلفة"<sup>4</sup>. أمّا الفائدة الثالثة للنظريات فهي "توفّر الإرشاد للبحث المستقبلي من خلال المساعدة على تحديد البنيات (التركيبات) والعلاقات التي تكون بحاجة للمزيد من البحث"<sup>5</sup>.

ومن الضروري الإشارة إلى أن "القضايا التي تجبر البشر على اللجوء للنظرية لا تتعلّق بالبحث الاجتماعي وحده، إنّها قضايا نواجهها جميعاً في حياتنا اليوميّة، كسعيها لفهم ما يجري لنا وللآخرين من حولنا، أو تلك النّابعة من خياراتنا الأخلاقيّة والسياسيّة"<sup>6</sup>. وعليه فإنّ النظرية تساعد على فهم الظواهر وتفسيرها. وضمن

<sup>1</sup> محمود الذواودي؛ نظرية الرموز البشرية وقواعد تأثيرات أنماط السلوكيات الجماعية على سلوكيات الناس، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، المجلّد 39، العدد1، 2011.

<sup>2</sup> ورد عند أنول باتشيري؛ بحوث العلوم الاجتماعية: المبادئ والمناهج والممارسات، ترجمة خالد بن ناصر آل حيان، عمان، دار اليازوري للنشر والتوزيع، 2015، ص 75.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 78.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 78.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، الصفحة ذاتها.

<sup>6</sup> إيان كريب؛ النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، ترجمة محمّد حسين غلوم، مراجعة محمّد عصفور، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة، عدد 244، 1999، ص 21.

هذا السياق تندرج نظرية الرموز البشرية التي عمل من خلالها محمود الذواودي على فهم بعض السلوكيات والظواهر الاجتماعية وتفسيرها.

## 1. 2. نظرية الرموز البشرية : الأسس الخمسة

توقّر النظرية إطاراً لتفسير ظواهر اجتماعية أو طبيعية، وفي هذا السياق توقّر نظرية الرموز البشرية لعالم الاجتماع التونسي محمود الذواودي إطاراً ملائماً لفهم وتفسير ظواهر في المجتمع العربي من قبيل انتشار العبارات الفرنسية في الخطاب الشفوي أو المكتوب (كتابة الصكّ البنكي باللغة الفرنسية بدلا عن اللغة العربية / استعمال مفردات أجنبية في التواصل الشفوي اليومي) لدى سكّان المغرب الكبير، ومن قبيل تمسّك الرجال السعوديين الكهول بارتداء "اللباس التقليدي الذي يغطّي الرأس بالكامل بواسطة "الغترة" (القماش ذي اللون الأبيض)، أو الشماع (القماش ذي اللون الأحمر) بصحبة العقال مع أي منهما، من جهة، والثوب (اللباس الذي يغطّي كامل الجسم بألوان مختلفة: الأبيض، الأسود، الرمادي، المزركش)...من جهة ثانية"<sup>1</sup>. وكذلك ظواهر تتصل بتربية الناس للماشية الذكور أو ظواهر تتعلّق بـ"الموقف المزدوج للمجتمع التونسي إزاء تعاطي المشروبات الكحولية وتعطيل قدرته على التعامل معها"<sup>2</sup>.

تبنى هذه النظرية على كون الإنسان كائناً ثقافياً بالطبع، بما يعني أنّ "الجنس البشري ومجتمعه ينفردان عن الأجناس الأخرى ومجتمعاتها بمنظومة ثقافية خاصة ومتميّزة في نوعيتها ورحابتها ومستوى تعقيدها بحيث أهلت الجنس البشري وحده لدور السيادة الكاملة على بقية الأجناس الأخرى"<sup>3</sup>. بمعنى أنّ فهم سلوكيات البشر فرادى أو جماعات يقتضي بالأساس فهم منظومة الرموز الثقافية التي تحكم ذلك السلوك. وعليه فإنّ هذه النظرية توقّر مدخلاً تجديدياً لدراسة الظواهر البشرية انسجاماً مع دعوة عالم الاجتماع إيمانويل والرشتاين الذي ناشد "علماء الاجتماع لمساءلة الكثير من الرؤى والمفاهيم والنظريات السوسولوجية، وتجاوز البعض منها والإتيان برؤى ومفاهيم ونظريات جديدة. إذ هو يرى أنّ رؤى القرن التاسع عشر ومفاهيمه ونظرياته تمثّل اليوم عائقاً فكرياً لتحليل مفيد لعالم المجتمعات البشرية"<sup>4</sup>. بتعبير مغاير إن نظرية الرموز البشرية "وما يتفرّع

<sup>1</sup> محمود الذواودي؛ المرجع سابق، ص 70.

<sup>2</sup> أنظر في هذا السياق: محمود الذواودي؛ الموقف المزدوج للمجتمع التونسي إزاء تعاطي المشروبات الكحولية وتعطيل قدرتها على التعامل معها، شؤون اجتماعية، العدد 89، ربيع 2006م، السنة 23، ص 159 – 185.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 63.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 86.

عنها من رؤى ومفاهيم مستحدثة هي مساهمة عربية متواضعة لتجديد فكر العلوم الاجتماعية في مطلع القرن الحادي والعشرين كما ينادي بذلك والرشتاين وغيره<sup>1</sup>. وهذا المدخل التجديدي عنوانه الإنسان كائن ثقافي بالطبع، قبل أن يكون كائنًا اجتماعيًا بالطبع<sup>2</sup>، وأن "تميّزه بعالم الفنون هو نتيجة مباشرة لمؤهلاته الثقافية التي حرمت منها الكائنات الأخرى"<sup>3</sup>. وفي ذلك إجابة عن سؤال "لا يكاد يطرح لا من الفنانين ولا من غيرهم: لماذا يختصّ الإنسان دون سواه من الكائنات بمنظومة تلك الفنون على مرّ العصور؟"<sup>4</sup>. وتعبير آخر خاض العلماء كثيرًا في جوهر الإنسان، فعُدّ بذلك عند البعض كائنًا اجتماعيًا بطبعه، وعند البعض الآخر كائنًا عقليًا فكائنًا اقتصاديًا عند آخرين... إلخ، لكن لا أحد منهم تبنى طبيعة الإنسان الثقافية، والتي تقوم على اعتبار "منظومة الرموز الثقافية العمود الفقري المميّز للجنس البشري"<sup>5</sup>. ولذلك أمكن لصاحب نظرية الرموز البشرية القول مستعيرًا كوجيتو ديكرت "أستعمل رموزًا ثقافية، إذا فأنا إنسان"<sup>6</sup>. إن جوهر الإنسان هو الرموز البشرية، وبناء عليه لا مناص للساعين إلى فهم سلوك البشر والظواهر الإنسانية عامة من الرجوع إلى منظومة الرموز الثقافية.

تقوم نظرية الرموز البشرية على الأسس الخمسة الآتية:

- (أ): **بطء النموّ الجسدي**: يتّصف النموّ الجسدي لأفراد الجنس البشري ببطء شديد مقارنة بسرعة النموّ الجسدي الذي نجده عند بقية الكائنات<sup>7</sup>. و"يصلح هذا مثالًا لتفسير ظاهرة عجز الأطفال عن المشي المبكر كصغار الحيوانات أو البلوغ الجنسي المبكر أيضًا كما نجده عند الحيوانات"<sup>8</sup>.
- (ب): **طول أمد حياة الإنسان**: يتمتّع "أفراد الجنس البشري عموماً بأمد حياة (سنّ) أطول من عمر معظم أفراد الأجناس الأخرى. فالإحصائيات تشير إلى فروق هامة بين معدلات أعمار الحيوانات وعمر الإنسان. فالسنّ

<sup>1</sup> المرجع نفسه، الصفحة ذاتها.

<sup>2</sup> محمود الذواودي؛ المقدمة في علم الاجتماع الثقافي برؤية عربية إسلامية، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2010، ص 33.

<sup>3</sup> محمود الذواودي؛ الفنون بوصفها لغات بشرية وليدة اللغة الأم، مجلة فنون، العدد 12، الثلاثية الأولى 2016، ص 7.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، الصفحة ذاتها.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، الصفحة ذاتها.

<sup>6</sup> المرجع نفسه، ص 8، وللتذكير فإن كوجيتو ديكرت هو "أنا أفكر، إذن فأنا موجود".

<sup>7</sup> محمود الذواودي؛ المقدمة في علم الاجتماع الثقافي...، مرجع سابق، ص 33.

<sup>8</sup> محمود الذواودي؛ الفنون بوصفها لغات بشرية...، مرجع سابق، ص 8.

القصوى عند الإنسان قد تصل إلى 120 سنة أو حتى أكثر بقليل. أمّا معدّلات سنّ أعمار بعض الحيوانات فهي كالآتي: الخيول 20، الأسود 15، النعاج 12، الأرناب 5<sup>1</sup>.

(ج): الانفراد بالسيادة: "ينفرد الجنس البشري بلعب دور السيادة في هذا العالم دون منافسة حقيقية له من طرف الأجناس الأخرى. فرغم تفوّق القوّة العضليّة الضخمة التي تتّصف بها الكثير من الحيوانات، فإنّ أفراد الجنس البشري نجحوا وبنجحون بطرقهم ومهاراتهم الخاصة في التغلّب على تلك الحيوانات وقهرها وإخضاعها لسيطرتهم"<sup>2</sup>، علماً أنّ "سيادة الجنس البشري لا تقتصر على عالم الحيوان بل تمتدّ إلى عالم الطبيعة"<sup>3</sup>.

(د): الانفراد بمنظومة الرّموز الثقافيّة: "يتميّز الجنس البشري بطريقة حاسمة عن الأجناس الأخرى بمنظومة ما سمّيناه بالرّموز البشريّة: اللّغة، الفكر، الدين..."<sup>4</sup>.

(هـ): الهويّة المزدوجة: يختصّ أفراد الجنس البشري بهويّة مزدوجة تتكوّن من الجانب الجسدي من ناحية، والجانب الرّموزي البشري من ناحية ثانية. أي أنّهم بالتعبير الديني أو الفلسفي جسم وروح، وبمصطلحنا الخاص، فالجسم ذو وزن وحجم. إنّهُ جانب غير مادّي في الإنسان. إنّهُ عالم اللامحسوس أو عالم الرّوحانيّات الذي بواسطته فقط استطاع بنو البشر التفوّق على بقيّة الأجناس الأخرى وكسب رهان مقاليد السيادة والخلافة في هذا العالم"<sup>5</sup>.

وبين هذه العوامل الأساسيّة، علاقات ترابط، حيث نقف على علاقة مباشرة بين المعلمين (أ) و(ب)، إذ أنّ "النموّ الجسدي البطيء عند أفراد الجنس البشري يؤدّي بالضرورة إلى حاجتهم إلى معدّل سنّ أطول يمكنهم من تحقيق مراحل النموّ والنضج المختلفة والمتعدّدة المستويات، فالعلاقة بين الاثنين هي إذن من نوع العلاقة السببيّة"<sup>6</sup>. كما أنّ للهويّة المزدوجة "التي يتّصف بها الإنسان علاقة مباشرة بالعنصر الجسدي للإنسان، من ناحية، وبالعنصر الرّموزي البشري من ناحية أخرى"<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> محمود النوادي؛ المقدمة في علم الاجتماع الثقافي...، مرجع سابق، ص 35.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، الصفحة ذاتها.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، الصفحة ذاتها.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 36.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص 37.

<sup>6</sup> محمود النوادي؛ نظرية الرّموز البشريّة وقواعد تأثيرها...، مرجع سابق، ص 64.

<sup>7</sup> المرجع نفسه، الصفحة ذاتها.

وتسمح الرموز البشرية بتفسير المعلمين أ وب، ولكن هذين المعلمين لا يؤهلان الإنسان إلى السيادة على مستوى القوة المادية. إذ الإنسان أضعف جسدياً من العديد من الكائنات الأخرى. ومن ثمّ يمكن الاستنتاج بأن سيادة الجنس البشري ذات علاقة قوية ومباشرة بالمعلمين (د) و (هـ)، والعنصر المشترك بين هذين المعلمين هو الرموز البشريّة. "وهكذا يتجلّى الدور المركزي والحاسم لمنظومة الرموز البشريّة في تمكين الإنسان وحده من السيادة في هذا العالم. إذ دون ذلك ما كان للجنس البشري أن يتبوأ ذلك الدور الرائد في هذا العالم"<sup>1</sup>.

تسمح إذن نظرية الرموز البشريّة بفهم سرّ سيادة الإنسان في العالم، أي سرّ تفوّقه الذي لا يعود إلى قوّة بدنيّة (فالعديد من الحيوانات قوّته تتجاوز بكثير قوة الإنسان)، ولا إلى مبرّرات أخرى مثل العيش في جماعة، ذلك أنّ كائنات أخرى لا تعيش إلا ضمن جماعات ولا تنتقل من مكان إلى آخر إلا في إطار جماعة، فمصدر قوّة الإنسان في هذا الكون هو الرموز البشريّة التي ينفرد بها.

وتمكن هذه النظرية من خلال الجهاز المفاهيمي الذي بناه صاحبها من فهم سلوك البشر، وتصرفاتهم، فمن خلال المفاهيم التي وضعها الذوّادي أمكن له فهم ظواهر بشريّة منتشرة في المغرب العربي أو في المشرق.

### 1. 3. نظرية الرموز البشريّة: البناء المفاهيمي

المفهوم هو "تصوّر عقلي مجرد في شكل رمز أو كلمة أو جملة، يستخدم للدلالة على شيء أو موضوع أو ظاهرة معيّنة"<sup>2</sup>، بمعنى أنّ المفهوم يشير "إمّا إلى علاقات الأشياء أو إلى وصف خاصياتها، إن المفاهيم ليست أقوالاً جازمة، ومن ثمّ فهي لا تتّصف لا بالصواب ولا بالبطلان. فمن جهة تعطي المفاهيم بكلّ بساطة مجموعة من المفردات اللغويّة تحتاجها نظرية ما. كما تحدّد المفاهيم من جهة ثانية موضوع البحث نفسه، وعندما تترابط المفاهيم في إطار ما يكون ذلك إشارة إلى بداية ميلاد نظرية"<sup>3</sup>، ومن بين مفاهيم نظرية الرموز البشريّة:

#### (أ) مفهوم التخلّف الآخر:

تجلّت ملامحه في بداية الثمانينات من القرن الماضي، ويعدّ الأشهر عالميّاً بين المفاهيم التي اشتمل عليها السجّل المفاهيمي لنظرية الرموز البشريّة، ويتمثّل بالتحديد في تخلّف مجتمعات العالم الثالث "لغويّاً وثقافيّاً

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 39/38.

<sup>2</sup> مصطلحات تربويّة عن الموقع <https://www.moe.gov.ae/>

<sup>3</sup> ورد عند محمود الذوّادي؛ المجتمعات العربيّة وعلاقتها النفسيّة والاجتماعيّة بلغتها في الميزان: المغرب العربي مثالا بعيون مفاهيمنا المستحدثة، الرياض، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربيّة، الطبعة الأولى، 1436 هـ - 2015 م، ص 18.

في استعمال لغاتها وثقافتها في المقام الأول في أوطانها من ناحية وشعور بمركبّ النقص (تخلّف نفسي) إزاء الغرب من ناحية ثانية<sup>1</sup>، ولهذا التخلّف "اللّغوي الثقا في انعكاسات سلبية على هويّات الأفراد والمجتمعات"<sup>2</sup>.

### (ب) مفهوم الفرانكوأراب الأثويّة :

يطلق "المصطلح الفرنسي <<الفرانكو أراب>> le franco – arabe على مزج اللّغتين العربيّة والفرنسيّة في حديث مواطنات ومواطني مجتمعات المغرب العربي المعاصرة"<sup>3</sup>. ولعلّ من المفارقات المثيرة للانتباه التي يكشف عنها هذا المفهوم، هي "استمرار المغاربيّين والمغاربيّات في الاعتقاد بأنّ ميلهم إلى استعمال اللّغة الفرنسيّة بدل اللّغة العربيّة/الوطنية يعدّ سلوكا تقدّميا وعصريا، والحال أن العكس هو الصحيح"<sup>4</sup>.

### (ج) الازدواجيّة اللّغويّة الأمازيغية:

إنّما "تلك الثنائيّة اللّغويّة التي لا تكون فيها للغة الأمّ/الوطنية المكانة الأولى في قلوب وعقول واستعمالات ثنائيّات وثنائي اللّغة، أي أنّ اللّغة الأمّ/الوطنية لا تحتلّ المرتبة الأولى عند هؤلاء على المستوى العاطفي والنفسي، وعلى المستوى الذهني والفكري وعلى مستوى الممارسة والاستعمال، إنّ أصحاب الثنائيّة اللّغويّة الأمازيغية تجددهم غير متحمّسين كثيرا للذود عن لغتهم الأمّ/الوطنية، وغير مبالين إزاء عدم استعمالها في شؤونهم الشخصية وفي ما بينهم في أسرهم واجتماعاتهم ومؤسّساتهم بحيث أصبح عندهم في حالات عديدة لغة ثانية أو ثالثة"<sup>5</sup>. فالثنائيّة الأمازيغية وفقا لصاحب نظرية الرموز البشريّة تعني عدم التحمّس للغة الوطنية، بل أكثر من ذلك تعني استخدام لغة أخرى بدلا عن اللّغة الأمّ في معاملاتهم الخاصة والعامة. "أفلا يكتب معظم هؤلاء صكوكهم المصرفيّة/شيكاتهم باللّغة الفرنسيّة بدلا عن اللّغة العربيّة؟ أفلا يكاد النساء المغاربيّات المتعلّمات والمتحقّفات على الخصوص تستعملن إلا اللّغة الفرنسيّة في حديثهنّ عن الألوان ومقاييس الملابس وغيرها؟"<sup>6</sup>. فكأنّ المغاربيّين والمغاربيّات "شبه متأمّرين ضد استعمال اللغة الوطنية (اللّغة العربيّة) وذلك لعدم إعطائها أولويّة الاستعمال"<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 19.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 20.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 21.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 23-24.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص 25.

<sup>6</sup> المرجع نفسه، الصفحة ذاتها.

<sup>7</sup> المرجع نفسه، الصفحة ذاتها.

## (د) ضعف التعريب النفسي:

يعني هذا المفهوم "ذلك الوضع الذي لا تحتلّ فيه اللّغة العربيّة (اللّغة الوطنيّة) في هذه المجتمعات نفسيًا واجتماعيًا المكانة الأولى في قلوب وعقول واستعمالات معظم المغاربيات والمغاربيين المتعلّمين على الخصوص، فمن منظور علم النفس الاجتماعي يمكن القول بأنّه يوجد اليوم موقف نفسي جماعي عام لدى جيل المواطنين والمواطنين في المجتمعات المغاربيّة لا يسمح لهم بتطبيع علاقتهم مع اللّغة العربيّة التي تؤكّد دساتير تلك المجتمعات في أولى فقراتها أنّ اللّغة العربيّة هي لغتها الوطنيّة"<sup>1</sup>. فضعف التعريب النفسي يفصح عن ضعف في الرغبة في التمسك باللّغة الأم، ومن ثم لا يجد المرء حرجا في تعويضها بلغة أخرى.

وعموما تستمدّ هذه النظرية وسجلها المفاهيمي أهمية خاصة من كونها تسعى إلى توطين علم الاجتماع الثقافي بالعالم العربي الإسلامي، أي ذلك العلم الذي يعتبر الثقافة عاملا مفسّرا للظواهر الإنسانيّة، ذلك أنّ هذه النظرية تعتبر أنّ الإنسان كائن ثقافي بطبعه، وعليه فإنّ الثقافة تعتبر مدخلا ضروريًا لفهم الظواهر البشريّة في تجلياتها اليوميّة المختلفة، وبذلك يمكننا القول إنّ نظرية الرّموز البشريّة انتصرت لعلم الاجتماع الثقافي على حساب علم اجتماع الثقافة.

## 2. انتصارا لعلم الاجتماع الثقافي :

لفهم السياق العام الذي تنزّل فيه أفكار عالم الاجتماع محمود الذواودي، يكون من الضروري التوقّف عند تمييزه بين علم اجتماع الثقافة، وبين علم الاجتماع الثقافي الذي تندرج ضمنه أعماله. وضمن هذا الإطار تسمح لنا كتابات الأستاذ الذواودي المتعدّدة بالوقوف عند خصائص كلّ من العلمين من ناحية، وعن أسس التمييز بينهما من ناحية أخرى، فمن حيث النشأة ظهر العلمان في فترتين مختلفتين، فقد برز علم اجتماع الثقافة في سبعينات القرن الماضي، أمّا علم الاجتماع الثقافي فقد ظهر إلى الوجود في تسعينات ذات القرن (1990) مع ما يعرف بالعودة إلى الثقافي<sup>2</sup> Cultural Turn. ويشدّد الذواودي في هذا الإطار على أنّ العلمين يهتمّان ويعنيان بالثقافة، وهو ما يجعل لهما قاسما مفاهيميًا مشتركًا. بيد أن هذا المشترك لا ينفي اختلاف زاويتي النظر إلى الثقافة بين العلمين. فعلم اجتماع الثقافة يتعامل مع الثقافة كمتغيّر تابع *une variable dépendante*، أمّا

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 28.<sup>2</sup> محمود الذواودي؛ المقدمة في علم الاجتماع الثقافي ... مرجع سابق، ص 21.

علم الاجتماع الثقافي فيرى الثقافة متغيراً مستقلاً *une variable indépendante* يحدّد تأثيره سلوكيات الأفراد وديناميات المجتمعات البشرية<sup>1</sup>، بمعنى أنّه من وجهة نظر علم الاجتماع الثقافي، للثقافة "ثقل كبير في التأثير على سلوكيات الأفراد وحركية المجتمعات البشرية"<sup>2</sup>. أو بالأحرى لفهم سلوكيات البشر في مجتمع معيّن يكون من اللازم العودة إلى الثقافة.

18

يهتمّ العلمان بالثقافة مقرّنين بأهمّيتها بالنسبة إلى المجتمعات الإنسانية ولكّتهما لا ينطلقان من ذات الأسئلة، ذلك أن علم اجتماع الثقافة يسعى إلى فهم كيف يقع تعريف الثقافة وطرحها كمفهوم بكلّ تشعّباتها المعاصرة؟ وكيف يمكن إيجاد علاقة بين البنية الاجتماعية والثقافة في المجتمع؟ أمّا علم الاجتماع الثقافي فيُعنى بدراسة نشأة المعنى، أي كيف تحدث عملية إنشاء المعنى؟ ولماذا تختلف المعاني؟ وكيف تؤثر المعاني في السلوك البشري الفردي والجماعي؟ وكيف تكون طرق إنشاء المعنى أمراً مهمّاً بالنسبة إلى التلاحم الاجتماعي وإلى الهيمنة والمقاومة في المجتمعات<sup>3</sup>.

انطلاقاً من نوعيّة الأسئلة التي توجّه عمل كلّ من العلمين، يمكننا التمييز بين رؤيتهما للثقافة. فهي بالنسبة إلى علم الاجتماع الثقافي برنامج قوي *un programme fort*، وهي في نظر علم اجتماع الثقافة برنامج ضعيف *un programme faible*. بمعنى أن الثقافة في نظر أصحاب التوجّه الأوّل (علم الاجتماع الثقافي) هي متغيّر مستقلّ بذاته، أو هي ميدان تنظير وممارسة مستقلّ بذاته حسب عبارة الذوادي<sup>4</sup> لكنّ علم اجتماع الثقافة ينظر إلى "الثقافة كمتغيّر رخو *soft* تابع لعوامل أخرى في المجتمع"<sup>5</sup> بمعنى أنّ علم اجتماع الثقافة يعطي دوراً هامشياً لتأثير الثقافة في المجتمع، وبناء على ذلك لا تلقى الثقافة في علم اجتماع الثقافة إلا تحاليلاً مختصرة، يطلق عليها عالم الأنثروبولوجيا جيرتس Geertz مصطلح الوصف الرقيق<sup>6</sup> *thin description*، وتجد نظرية البرنامج الضعيف التي يتبنّاها علم اجتماع الثقافة، جذورها لها في الفترة الكلاسيكيّة (ما قبل 1960) وأيضاً في الفترة ما بعد 1960 التي نجد فيها أيضاً "أربعة أنواع من المدارس الفكرية الاجتماعية ذات "برامج ضعيفة"

<sup>1</sup>Ibid, p13

<sup>2</sup> محمود الذوادي؛ المقدمة في ...، ص 21.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 22.

<sup>4</sup> محمود الذوادي؛ الثقافة ميدان تنظير وممارسة مستقلّ بذاته، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 10، صيف 2005.

<sup>5</sup> محمود الذوادي؛ المقدمة...، مرجع سابق، ص 22.

<sup>6</sup> المرجع نفسه، الصفحة ذاتها.

بالنسبة للاهتمام بدراسة الثقافة، تتمثل هذه المدارس في فكر مدرسة برمنجهام وفكر بيار بورديو وميشال فوكو ونظرية إنتاج واستهلاك الثقافة<sup>1</sup>.

تبدو طريقة التعاطي مع الثقافة مختلفة بين مدرستي علم اجتماع الثقافة وعلم الاجتماع الثقافي، فاعتبار الثقافة متغيراً تابعاً أو متغيراً مستقلاً بذاته يمكن من فهم سلوكيات الأفراد وحركية المجتمعات والحضارات الإنسانية هو جوهر الاختلاف بين المدرستين. وقد انتصر محمود الذوادي إلى مدرسة التسعينات، أي مدرسة علم الاجتماع الثقافي القائلة بأن الثقافة ليست متغيراً هامشياً ولا تابعاً، وإنما هي على خلاف ذلك تماماً متغير مستقل يمكن من فهم وتفسير الظواهر الاجتماعية في تجلياتها الفردية والجماعية، خاصة مع انشغاله بمنظومة الرموز الثقافية والتي هي في نظره جوهر الطبيعة الإنسانية. وقد بدا هذا التبني لعلم الاجتماع الثقافي واضحاً عند الأستاذ الذوادي من خلال قوله "إنّ منهجيتنا في دراسة الثقافة تختلف عن نظيراتها عند علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع المعاصرين والمحدثين، فبينما هم ينظرون إلى الثقافة على أنّها مجرد مولود للمجتمع، فإننا نرى في المقام الأول، أنّ الكائنات البشرية حمالة فطرياً لعناصر المنظومة الثقافية لدى الإنسان، وهي الفاعل المركزي الذي يحدّد نشأة الثقافة ذلك الكلّ المعقّد في المجتمع"<sup>2</sup>.

### 3. الرموز الثقافية تعطي الثقافة معنى جديداً، وتوجب اعتماد علم الاجتماع الثقافي

#### 3.1 في معنى الثقافة:

بأي معنى يجب أن تؤخذ الثقافة؟ وهل يمكن الأخذ بالتعريفات السابقة للثقافة ولا سيما منها تعريف تايلور الشهير القائل بأن الثقافة "ذلك الكلّ المعقّد الذي يتضمّن المعرفة، العقيدة، الفنّ، الأخلاق والتقاليد وأي مقدرات وعادات يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع"<sup>3</sup>. وهذا التعريف وعلى أهميته لا يخلُ في نظر الذوادي من قصور باعتباره "لا يشير إلى اللّغة ولا يعطيها الصدارة في مكونات منظومة الثقافة والحال أنّ اللّغة هي منشئة ظاهرة الثقافة نفسها بالمعنى البشري الواسع والشديد التعقيد"<sup>4</sup>. بمعنى أنّ للثقافة معنى غير المتداول، وهو معنى يرتكز على محورية اللّغة – التي هي جوهر الرموز الثقافية أو هي أمّ الرموز الثقافية – في تحديد معنى

<sup>1</sup>DHAOUADI (M) ; L'Univers ..., op.,cit, p13

<sup>2</sup> محمود الذوادي؛ المقدمة...، مرجع سابق، ص 27.

<sup>3</sup> ورد عند محمود الذوادي؛ لسان العلوم الاجتماعية والإنسانية يقول: استعمل اللّغة إذا أنا إنسان، الحياة الثقافية، ماي 2010، ص 6. علماً وأنّ هذا التعريف ليس الوحيد، فقد بيّنت محاولة مجموعة من العلماء توضيح معنى الثقافة منذ عقود عدّة، أنّ هناك أكثر من مائة وخمسين تعريفاً مختلفاً للثقافة، أنظر الذوادي؛ الثقافة ميدان تنظير وممارسة...، مرجع سابق، ص 320.

<sup>4</sup> محمود الذوادي لسان العلوم الاجتماعية...، مرجع سابق، ص 7.

الثقافة، ليغدو الإنسان بذلك كائنا ثقافيا بالطبع، قبل أن يكون كائنا اجتماعيًا بالطبع<sup>1</sup>. وتعبير مغاير لا يستقيم معنى الثقافة دون أن يأخذ بعين الاعتبار الرموز الثقافية التي تميّز الإنسان عن غيره من الكائنات.

### 2.3 الرموز الثقافية جوهر الثقافة الإنسانية

يتميّز الجنس البشري "عن سواه بما يسمّيه علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع والثقافة culture أو ما نطلق عليه نحن مصطلح الرموز الثقافية والمتمثلة في العناصر الآتية: اللغة، الفكر، الدين، المعرفة/العلم، القيم، الأعراف الثقافية، الأساطير والقوانين...<sup>2</sup> بمعنى أنّ "الكائنات البشرية تتميز على كلّ من عالمي الدواب ومصنوعات الإنسان - المتّصّفة بما يسمّى بالذكاء الاصطناعي مثل الحاسوب والإنسان الآلي - باستعمال الفكر والدين واللغة والعلم (المعرفة) والمعايير الثقافية... كلّ تلك العناصر وما شابهها تعرف في مصطلحات العلوم الاجتماعية بالثقافة"<sup>3</sup>، وعليه فإنّ الرّموز الثقافية هي جوهر ثقافة الإنسان باعتبارها تمنح الجنس البشري خصائصا ينفرد بها عن غيره. وإذا كانت الثقافة - في نظر علماء الاجتماع المتبنّين لعلم الاجتماع الثقافي ومنهم محمود الذواودي، متغيّرا مستقلا، تفسّر بفضله سلوكيات الأفراد وديناميات المجموعات، فإنّه لا يمكن فهم بعض التحركات الشعبية الكبرى كتلك التي عرفتها أوروبا الشرقية في النصف الثاني من عام 1989 والتي أدت إلى تغيير الأنظمة السياسية دون الأخذ بعين الاعتبار أهميّة "عمق الطبيعة الرموزية للإنسان. فالمناداة بديمقراطية الحكم بين الفئات المختلفة لهذه الشعوب كانت تعني إنهاء حالة الحصار والكبت للحريّة كرمز وقيمة متجذّرة في التركيبة البشرية. فممارسات هذه الأنظمة تتناقض مع مبدأ أن الإنسان كائن رموزي في الأساس، أي أنّه كائن لا يقبل سحق مهاراته وإمكاناته الرموزية طال الزمن أو قصر. فحرية الكلمة والفكر تتمتع بمدلولات قدسيّة عند الإنسان"<sup>4</sup>.

ويمكننا القول إن ما ذهب إليه الذواودي من أهميّة الرّموز الثقافية في فهم حركيّة المجتمعات البشريّة، ينطبق على ما شهدته تونس نهاية سنة 2010 ومطلع سنة 2011 إبّان الثورة التونسية عندما رفع الشباب على وجه التحديد شعار "ثورة الحريّة والكرامة"، لأنّ قوة الرّموز قوّة هائلة لا يكاد يقف أمام جبروتها أي شيء

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 10.

<sup>2</sup> محمود الذواودي؛ الثقافة بين تأصيل الرؤية الإسلامية واغتراب منظور العلوم الاجتماعيّة، بيروت، دار الكتب الجديدة المتحدة، 2006، ص 27 - 28.

<sup>3</sup> محمود الذواودي؛ تأملات في أصالة الديمقراطية، مجلّة الموقف، عدد 1، جويلية - أوت 1992، ص 37.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 40.

مادي مهما كانت طبيعته القاهرة، ومن هنا يأتي المدلول الميتافيزيقي لقيم الحرية والعدالة والمساواة كرموز قادرة على شحن الأفراد والجماعات بطاقات كبيرة<sup>1</sup>. وهكذا يمكننا القول إن جوهر الثقافة هي منظومة الرموز الثقافية للإنسان، تلك الطبيعة التي تجعله متمسكا بقيم ومبادئ، ومدافعا عنها، ومستعدا لتقديم حياته من أجلها، فلا معنى للثقافة إن لم تأخذ بمركزيّة الرموز الثقافية فطريا في الطبيعة البشريّة.

### 3.3 في خصائص الرموز الثقافية

#### أ. اللغة جوهر البعد الثالث:

يقول محمود الذواوي "وَجَدْتُ أَنَّ ما أسَمِيه البعد الثالث في الإنسان (اللغة والمعرفة/ العلم والفكر والديانات والقيم والأعراف الثقافية) هو تلك المواصفات التي يميّز بها الإنسان عن بقية الكائنات، لقد وقع ميلاد مفهوم البعد الثالث للإنسان عندي كحصيلة لمقولة فكرية تقول إن هوية الإنسان تتكوّن من ثلاثة معالم، وهي الجسد، الروح، والبعد الثالث أو منظومة الرموز الثقافية..."<sup>2</sup>.

فالإنسان لا يختزل في بعدين لطالما شكّلا طبيعة الإنسان وهما الجسد والروح. أي أنّ له بعدا ثالثا هو الرموز الثقافية، وعليه يمكن القول إن الإنسان غدا عند الذواوي "كأننا ذا بعد ثالث لغوي ثقافي"<sup>3</sup> وذلك بعد أن أتضح له "أنّ اللغة البشريّة هي العامل القوي الحاسم والفردي الذي أدّى إلى ميلاد وتجسّد بقية تلك العناصر من منظومة الرموز الثقافية للبعد الثالث عند الجنس البشري"<sup>4</sup>. وهذا لا يعني فقط أن الإنسان كائن لغوي رموزي ثقافي فقط، وإنّما أيضا أن طينة الإنسان البيولوجيّة الفيزيولوجية تتأثر بمنظومته اللغوية الرموزية الثقافية<sup>5</sup>.

فباللغة والتي "هي غريزة في الإنسان مثلها مثل قدرة الإنسان الغريزيّة على المشي، أي أنّها شيء متجدّد ومبرمج في الطبيعة البشريّة"<sup>6</sup> هي أداة التفكير الرمزي عند الإنسان مثلما بيّن ذلك العالمان نوبل وديفدسن<sup>7</sup>، فهي التي

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 41.

<sup>2</sup> محمود الذواوي؛ البعد الثالث للإنسان: مفهوم عربي لتأصيل المعرفة في الطبيعة البشرية وفهم تضامن وفرقة الشعوب، إضافات، العددان 29 - 30، شتاء - ربيع 2015، ص 241 - 242.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 243.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، الصفحة ذاتها.

<sup>5</sup> محمود الذواوي؛ الازدواجيّة اللغويّة الأمازيغية: ارتباك الهوية وتصدّعها، المغرب والمشرق. com تونس، نبر الزمان، 2013، ص 27.

<sup>6</sup> المرجع نفسه، ص 19.

<sup>7</sup> ورد عند محمود الذواوي؛ المرجع نفسه، ص 20.

تمكّنه من صياغة المفاهيم ونشرها بين الآخرين، وبفضل اللّغة وقع في نظرها "الانفجار الثقافي الكبير" في دنيا الإنسان<sup>1</sup>. وهكذا يكون من الوجيه والمنطقي اعتماد اللّغة مدخلا لتحليل هويّة المجتمعات، تماما مثلما يكون مدخلا لدراسة التخلّف من وجهة نظر مغايرة لما دأب عليه المهتمّون من الاجتماعيّين والاقتصاديّين والسياسيين بمسألة التنمية والتخلّف بمن فيهم رواد مدرسة التبعية.

إن اللّغة هي جوهر البعد الثالث للإنسان، والذي هو مجموعة الرّموز الثقافيّة التي أهلت الإنسان لسيادة العالم، وهذه الرموز الثقافيّة لها سمات تميّزها.

### ب. الجوانب المتعالية لمنظومة البعد الثالث

يبلغ عدد هذه الجوانب خمسة وهي:

- ليس لعناصر البعد الثالث وزن أو حجم بالمعنى المادي للأشياء، أي أنّ تلك العناصر ليست ذات طبيعة ماديّة بل طبيعة غير ماديّة/روحيّة/متعالية/transcendental، وبعبارة أخرى يتمثّل جوهر الإنسان وأعرّ ما يملكه في هذا البعد الثالث المتعالي<sup>2</sup>، وخاصيّة التعالي هذه التي تميّز الرموز الثقافيّة هي التي تجعل عالمها "مختلفا عن كل من العناصر البيولوجيّة الفيزيولوجية وعالم العناصر المادية"<sup>3</sup>.
- توظيف خلوّ البعد الثالث من عاملي الحجم والوزن، يمكن أن يتمّ من خلال "فهم سرعة ثورة الاتصالات في عصر العولمة، فنكتفي بذكر بعض الأمثلة: لماذا تصل الرّسائل والوثائق المرسلّة بالفاكس وبالأنترنّت بسرعة كبيرة مقارنة بالقيام بالمراسلة نفسها بالبريد العادي أو حتّى بالبريد السريع؟ يمكن تفسير ذلك بسبب أن المراسلة بالفاكس والأنترنّت تلغي عاملي الوزن والحجم للشّيء المرسل...ويساعد أيضا فقدان البعد الثالث لعاملي الوزن والحجم على فهم وتفسير القدرة الضخمة الحاوية لدى العلب الإلكترونيّة الحديثة Flash Disks فرغم صغر حجمها المادي تستطيع تلك العلب أن تحوي عشرات ومئات الكيلوغرامات من المطبوعات المكتوبة في جرائد ومجلّات ووثائق، يعود ذلك تبعا لنظرية البعد الثالث إلى كون أن الطبيعة الأصليّة لكلمات اللّغات هي طبيعة لا وزن لها، ولا حجم<sup>4</sup>، وبهذا تكون خاصيّة غياب الوزن والحجم التي تتّصف بها الرّموز الثقافيّة ميسرة لاستفادة البشريّة من التقدّم التكنولوجي لاسيّما في هذه الفترة التي عرفت فيها

<sup>1</sup> المرجع نفسه، الصفحة ذاتها.

<sup>2</sup> محمود الذواودي؛ أبجدية ميلاد مفهوم البعد الثالث للإنسان، الحياة الثقافيّة، العدد 257 / جانفي 2015، ص 23.

<sup>3</sup> محمود الذواودي؛ الثقافة بين تأصيل الرؤية الإسلاميّة...، مرجع سابق، ص 51.

<sup>4</sup> محمود الذواودي؛ البعد الثالث للإنسان...، مرجع سابق، ص 247.

تكنولوجيا المعلومات والاتصال تقدّمًا غير مسبوق، وبتعبير مغاير استفادت تكنولوجيا المعلومات والاتصال على النحو المطلوب من طبيعة البعد الثالث المتمثلة في غياب الوزن والحجم، وهكذا تكون التكنولوجيا ذاتها مساعدة لنا على فهم الطبيعة الخاصة للرموز الثقافية.

- لا تتأثر الرموز الثقافية/البعد الثالث بعملية نقصان عندما نعطي منها للآخرين كما هو الأمر في عناصر المادة<sup>1</sup>. بمعنى أنّ الرموز الثقافية تتميز عن الأشياء المادية بكونها لا تنقص عندما نهدي بعضها منها لغيرنا، فعندما نهدي لغيرنا شيئًا من أملاكنا المادية، فإنّه يترتب عن ذلك نقصان ولو محدود وضئيل من ممتلكاتنا المادية، وأمّا "إذا علمنا (منحنا) الآخرين شيئًا من معرفتنا وعلمنا وفكرنا وعقيدتنا وقيمنا الثقافية ولغتنا... فإنّ ذلك لا ينقص شيئًا من كلّ واحد من الرموز الثقافية التي يتكوّن منها البعد الثالث للإنسان"<sup>2</sup>. هكذا تكون الرموز الثقافية كميّة لا كميّة بمعنى أنّ منح بعضها لا يعني بالمرّة نقصًا في الكميّة بل يعني في المقابل سعة انتشار تلك الرموز، فالقيم والحريّات وغيرها من الرموز الثقافية كلّما انتشرت بين الناس إلا وكان تأثيرها أفضل، وهذه الخاصية تشجّع على نشر منظومة حقوق الإنسان مثلا، وعلى نشر القيم الإنسانية الكبرى وكذلك نشر المفاهيم الفكرية التي تشجّع على التفكير والإبداع، وقيم التسامح والتفاهم بين البشر.

- للرموز الثقافية قدرة كبيرة على البقاء طويلا عبر الزمان في المجتمعات البشرية، إذ قد يصل مدى بقائها إلى درجة الخلود، فللغة وهي أمّ الرموز الثقافية جميعا، قدرة فائقة على تخليد ما يكتب بها بغض النظر عن محتوى المكتوب<sup>3</sup>. بمعنى أنّ الرموز الثقافية وفي مقدّمها اللّغة هي ضامنة بقاء المنتج الفكري الإنساني، فالفكر البشري لا يكتب له الاستمرار والخلود الكاملين دون أن تحتضن مضمونه اللّغات المكتوبة<sup>4</sup>. فاللّغة هي حامية الذاكرة الجماعية وحافظتها سواء كانت شفوية أم مكتوبة، وبواسطة اللّغة "يستطيع أفراد الجنس البشري أن يحزّروا أنفسهم من العراقل المادية لهذا العالم، فهبة اللغة ينجح بنو البشر في فكّ حصار المشاغل الدنيوية والأنيّة، وهكذا يصبح لقاؤهم بالبعد الميتافيزيقي في شتّى مظاهره أمرا لا مفرّ منه، فهم يرونه في أحلامهم، ويحفل به خيالهم ويلتقون به عن قرب في تجاربهم الروحية<sup>5</sup>. وهكذا تنجح الرموز الثقافية مجسّدة في أمّها اللّغة في تخطّي الزمن، أي مساعدة الجنس البشري على التغلّب على الزمن، حيث سمحت له اللّغة

<sup>1</sup> محمود الذواودي؛ أجدية ميلاد مفهوم ...، مرجع سابق، ص 26.

<sup>2</sup> محمود الذواودي؛ البعد الثالث للإنسان، مرجع سابق، ص 247.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 248.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، الصفحة ذاتها.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، الصفحة ذاتها.

المكتوبة كما الشفويّة بنقل موروثه من جيل إلى آخر، لتكون اللّغة بهذا المعنى، وسيلة لتواصل البشر بمعنيين، بمعنى التبادل والتشارك والتفاعل وبمعنى ضمان الاستمرارية بين الأجيال وبين الحقب التاريخيّة، وما محافظة اللّغة العربيّة على القرآن الكريم إلا دليل على تلك القدرة التي تتّسم بها الرّموز الثقافيّة.

- تملك الرّموز الثقافيّة/البعد الثالث قوّة هائلة تشحن الأفراد والمجموعات بطاقات كبيرة تمكّن أصحابها من الانتصار على أكبر التّحدّيات بكلّ أصنافها المتعدّدة<sup>1</sup>. وقد تساعدنا هذه الخاصيّة في فهم وتفسير سرّ نجاح ثورات الشعوب سواء أكانت ضد المستعمر، ونحن نعلم كيف أنّ قادة الحركات الوطنيّة في المغرب الكبير عملوا على جعل الهويّة بما تشتمل عليه من رموز ثقافية (اللّغة والدين) عاملا محقّزا على الثورة ضد المستعمر (حملات ضد التجنيس... الخ)، وكذلك الثورات على الحكّام المستبدّين، ولا أدلّ على ذلك من تشبث التونسيّين والتونسيات بثورة الحرّيّة والكرامة، بما تشير إليه المفردتان من عمق رمزي، فهي ثورة أناس ينشدون الحرّيّة والكرامة التي كانت المواثيق الدوليّة وفي مقدّمها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان (10 ديسمبر 1948) قد أكّدت عليها، فقد جاء في المادة الأولى من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان "يولد جميع الناس أحرارا متساوين في الكرامة والحقوق، وقد وهبوا عقلا وضميرا وعليهم أن يعاملوا بعضهم بروح الإخاء"<sup>2</sup>. فثورات الشعوب ليست إلا تجسيما لتلك الطاقات التي تشحنهم بها الرموز الثقافيّة والتي تجعلهم لا يخشون البطش والتنكيل.

تبيّن هذه السمات الخمس طبيعة البعد الثالث/الرموز الثقافيّة، فهي مغايرة لصفات الأشياء الماديّة وهي قادرة على التأثير في سلوكيات الأفراد، كما أنّها قادرة على إحداث حركيّة في المجتمعات، بشحنها البشر بقيم ومبادئ يهّبون للدفاع عنها كلّفهم ذلك ما كلّفهم، وأليس تاريخ البشريّة حافلا بانتصارات أبناء الجنس البشري على الظلم والقهر والتسلّط، ولكن هذا البعد الثالث المتمحور بالأساس حول اللّغة يسمح لمبتني علم الاجتماع الثقافي بالنظر إلى قضايا كبرى من منظور تجديدي وفي هذا السياق سنتوقّف عند نظرة محمود الذواودي لقضية التخلّف التي كثيرا ما شدّت اهتمام المختصّين في العلوم الإنسانيّة، وأيضا قضية الشخصية.

#### 4. البعد الثالث باعتباره مدخلا تجديديا لدراسة التخلّف الأخر *l'Autre sous - Développement*

أعطى الذواودي للتخلّف وصفا آخر أو صفة جديدة هي الأخر، فغدا التخلّف تخلّفا آخر، وفي ذلك إيحاء بمدخل جديد ومقاربة تجديديّة لدراسة مسألة شغلت المهتمّين والمختصّين من حقول علميّة ومعرفيّة شتى،

<sup>1</sup> محمود الذواودي؛ أجدية ميلاد...، مرجع سابق، ص 27.

<sup>2</sup> في الواقع ليست العهود والمواثيق والقوانين الوضعيّة هي التي ضمنّت حرّيّة البشر وكرامتهم، فالديانات أيضا ضمنّت ذلك والدليل على ذلك تكريم الإنسان في القرآن وخصّه بأن يكون خليفة الله في الأرض.

ويُقصد بالتخلف الآخر "التخلف الثقافي الذي أهملت العناية به الندوات العالمية والأممية، ودراسات المتخصصين بالتنمية والتخلف في كل من الكتلة الاشتراكية والكتلة الرأسمالية، فهذا النوع من التخلف تغلب عليه حالة الإهمال والنسيان السائدة بين المهتمين بالتنمية والتخلف في مجتمعات العالم الثالث"<sup>1</sup>.

ويمثّل الاهتمام بالتخلف الثقافي/التخلف الآخر خروجاً عن المؤلف في دراسة التخلف ذلك أنّه "إذا كان المختصون الغربيون في العلوم الاجتماعية في الغالب منشغلين بالأبعاد السوسيو - اقتصادية للتخلف، فإننا سننظر إلى هذه الظاهرة من زاوية تأخذ بعين الاعتبار البعد النفس - ثقافي la dimension psychoculturelle للتخلف<sup>2</sup> وتناول ظاهرة التخلف من هذه الزاوية يعكس قناعة بأنّ التخلف يمسّ الأسس النفسية الثقافية لشخصية الفرد<sup>3</sup>.

يحدّد الذوادي ملامح التخلف الآخر/التخلف الثقافي في: أ. رغبة ساكني العالم الثالث tiers mondiste في تقليد الغرب، ب. بروز أعراض مركّب نقص نحو هذا الأخير، ج. الاستخدام المتواتر للغات الغربية وبالتحديد الإنجليزية والفرنسية، د. الاعتماد الكبير للمجتمعات السائرة في طريق النموّ على العلوم والمعارف العصرية للعالم الغربي، وأخيراً، هـ. الانتشار الواسع للقيم الغربية في هذه المجتمعات.

تقف وراء عدم الاهتمام بالتخلف الآخر، عوامل من بينها أ) عدم اعتبار الاستعمار اللغوي الثقافي مظهراً من مظاهر الاستعمار، والحال أنّ هذا الاستعمار الثقافي يعدّ من أخطر أنواع الاستعمار<sup>4</sup>. ب) إن طبيعة هذا النوع من الاستعمار غير ماديّة، فلا يدرك بسهولة على أنّه استعمار، أو يقع على الأقلّ الالتباس بشأنه<sup>5</sup>. ولكن هذا التخلف الآخر الذي يلاحظ في بلدان الجنوب (المجتمعات الآسيوية، والإفريقية والأمريكية اللاتينية) هو نتيجة لهيمنة الغرب على تلك المجتمعات وتركيزه علاقة مهيمن بمهيمن عليه الأمر الذي جعل لآثار الاستعمار

<sup>1</sup> محمود الذوادي؛ الوجه الآخر للمجتمع التونسي الحديث، تونس، نبر الزمان، 2006، ص 89.

<sup>2</sup> DHAOUADI (M) ; L'Univers des Symboles...op., cit, p 91.

<sup>3</sup> Ibid, p 91- 92.

<sup>4</sup> يمكن أن نورد في هذا السياق ما كان قد صرح به جورج هاردي G. Hardy مسؤول الحماية الفرنسية في قطاع التعليم بالمغرب "إنّ انتصار السلاح لا يعني النصر الكامل...إنّ القوّة تبني الإمبراطوريات، ولكنها ليست هي التي تضمن الاستمرار والدوام...يجب إخضاع النفوس بعد أن تمّ إخضاع الأبدان"، ورد عند علي العلوي؛ نحو سوسيولوجيا نقدية لخطاب التحديث التربوي بالمغرب، عالم التربية، العدد 13، 2003، ص 131.

<sup>5</sup> محمود الذوادي؛ الوجه الآخر...، مرجع سابق، ص 90 - 91.

"على البلدان المستعمرة طبيعة مزدوجة الأبعاد، فقد خلقت تخلفًا ذا وجهين: سوسيو - اقتصادي ، ونفسي - ثقافي. ولكل من الوجهين مكوناته الخاصة، وأيضا تظاهراته"<sup>1</sup>.

ويتضمن التخلّف الآخر نظامين فرعيين (أ) التخلّف الثقافي، (ب) التخلّف النفسي. ويتمحور التخلّف الثقافي حول ثلاثة محاور<sup>2</sup>:

- تخلّف لغوي (استخدام واسع للغة الأجنبية على حساب اللغة الوطنيّة: حالة استعمال الفرنسيّة بالمغرب العربي).

- تخلّف وطني في مجال المعارف العصريّة (في العلوم الفيزيائيّة، الطبيعّيّة، الاجتماعيّة، الخ) فصارت المعرفة في بلدان العالم الثالث تابعة للمعرفة الغربيّة لا في مجالات العلوم فحسب، بل أيضا في مجالات العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة.

- تخلّف على مستوى القيم الثقافيّة الوطنيّة، فاتّصال البلدان المسمّاة في طريق النموّ بالبلدان الغربيّة المهيمنة سمح لهذه الأخيرة بـ"ضحّ" الكثير من قيمها في مجتمعات الأولى، فتمّ استبدال بعض القيم التقليديّة الأصليّة بقيم غربيّة، فيما لا تزال بعض القيم الأخرى في منافسة حادّة مع القيم الوافدة، وهنا مثال عن أعراض صراعات القيم حول ظواهر ثقافيّة في المجتمعات المتواصلة.

فالتخلّف الثقافي يغطّي مجالات ذات علاقة مترابطة هي اللّغة والعلوم والقيم، وهي في مجملها من الرموز الثقافيّة، وهي إلى جانب ذلك مترابطة، فالدول التي نجحت في توطيّن وتبيئة المعرفة العلميّة هي تلك الدول التي اعتمدت لغتها الوطنيّة لغة علم ومعرفة، كما أن القيم الوطنيّة ليست بمعزل عن انتشار اللّغة الوطنيّة وامتلاك أسس المعرفة العالميّة في مختلف مجالات المعرفة (الإنسانيّة/الأدبيّة/العلميّة/التقنيّة...إلخ). علما وأنّه "غالبا ما ترتبط هذه الأوجه الثلاثة للتخلّف الثقافي بالتخلّف النفسي، الذي عادة ما تتمّ هيكلته شكليه على النحو الآتي: (أ) تُحدث أوجه التخلّف الثقافي - التي تمّ التأكيد عليها - لدى مواطني البلدان السائرة في طريق النموّ شعورا بمركب نقص إزاء الغربيين. (ب) وهذا النوع الثالث من التخلّف الثقافي يرتبط بما يسمّى علماء الاجتماع المعاصرون الشخصيّة المضطربة *la personnalité désorganisée*"<sup>3</sup>. وهذا يعني أنّ آثار التخلّف الآخر أعمق مما تبدو، فهي تمثّل تقييرا وطنيا لبعض مكونات الأساسيّة لمجتمعات الجنوب، وهي اللّغة

<sup>1</sup>DHAOUADI (M) ; l'Univers des Symboles..., op., cit, p93.

<sup>2</sup>ibid, 96.

<sup>3</sup>ibid, p97.

والثقافة العاملة والقيم الثقافية<sup>1</sup>، كما تؤدي إلى اضطراب في الشخصية الجماعية لبلدان الجنوب، فهذه الشخصية ستفقد ثقمتها في نفسها، وستتجه إلى الغرب معتبرة إياه نموذجاً يقتدى به، وهنا نكون أمام مجال آخر لعلم الاجتماع الثقافي، بمعنى أن علم الاجتماع الثقافي يساعدنا على فهم التخلف الآخر كنوع من التخلف المسكوت عنه رغم مخاطره التي تتجلى بالأساس في تعميق التبعية المعرفية والقيمية واللغوية، ولكنها لا تقف عند ذلك الحدّ فهي تسهم في اضطراب الشخصية.

### 5. التعامل مع اللغة الأم باعتباره مدخلاً لدراسة الشخصية

تمت الإشارة إلى أنّ من نتائج التخلف الآخر بروز ما يعرف بالشخصية المضطربة، ومن هذا المنطلق يمكن القول إن علم الاجتماع الثقافي على النحو الذي ذهب إليه عالم الاجتماع التونسي محمود الذواودي يولي اهتماماً لسلوكيات الأفراد التي تعكس في نهاية المطاف نوعاً من الاضطراب أو الاتزان في الشخصية، وسيكون المثال عن ذلك التعامل التونسي مع اللغة الأم.

لقد اعتبرت اللغة عند الذواودي أمّ الرموز الثقافية، بل إن إنسانية الإنسان تظلّ رهينة استخدامه للغة<sup>2</sup>، وبعبارة أخرى إنّ "ما يميّز الجنس البشري عن غيره من الأجناس الأخرى هي ملكة اللغة في شكلها المنطوق والمكتوب، وهذا ما يعني أنّ اللغة هي المحدّد الأوّل لهوية الإنسان على المستوى العام والمطلق، وهي رمز إنسانية هوية الكائن البشري"<sup>3</sup>، ومن ثمّ فإنّ تعامل البشر مع اللغة وتحديد اللغة الأم، يعكس إلى حدّ ما طبيعة الشخصية، وفي هذا السياق تمّ الاتجاه إلى دراسة ما أسماه الذواودي ظاهرة "الفرانكو أراب"، وهي الظاهرة التي تتمثّل في المزج بين اللغتين العربية والفرنسية في لغة التعامل اليومي عند المغاربة (سكان المغرب الكبير)، وهو مزج شائع في مجتمعات المغرب العربي<sup>4</sup>، ولكن رغم انتشار تلك الظاهرة التي هي مؤشّر من مؤشّرات التخلف الثقافي الذي تتّصف به معظم دول العالم الثالث<sup>5</sup> فإنّه "لا يكاد يعثر على إدراك أو وعي جماعي "بانحرافية" هذا السلوك اللغوي، فليس هناك حملات أو محاضرات أو مناقشات شعبية في مختلف شرائح المجتمع التونسي مثلاً تطرح مشكل المزج اللغوي سواء بمفهومه العام أو الخاص، الأنثوي كقضية مرضية ينبغي على المجتمع أن

<sup>1</sup>Ibid, p96.

<sup>2</sup> راجع في هذا السياق مقال لسان العلوم الاجتماعية...، مرجع سابق.

<sup>3</sup> محمود الذواودي؛ الازدواجية اللغوية...، مرجع سابق، ص 60.

<sup>4</sup> محمود الذواودي؛ الوجه الآخر للمجتمع...، مرجع سابق، ص 200.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، الصفحة ذاتها.

يستيقظ لها ويجد لها العلاج الملائم بتطبيع أو تأميم استعمال لغة (أو لغات) هذه المجتمعات<sup>1</sup>، وعليه فإنّ الاهتمام بهذه الظاهرة يتأتّى سياق تحليل سلوكيات الأفراد في واقعهم اليومي، وضمن التوجّه ذاته تمّ تناول ظاهرة الفرانكوأراب عند المرأة التونسية كمثال، مثلما سبقت الإشارة.

مما "لاشكّ فيه أن الفرنسية في هذه المجتمعات (مجتمعات المغرب العربي) تتمتع بتصوّر تقدّمي في أذهان أهل شمال إفريقيا وخاصة منهم المتعلّمين والمثقفين، إذ ينظر إليها على أنّها لغة العلم والتكنولوجيا والحداثة بصفة عامة"<sup>2</sup>، وهو ما جعل اللّغة العربيّة الفصحى تحتلّ اليوم "اجتماعيًا وشعبيًا المكانة الثانية بعد الفرنسية في الهرم اللّغوي (العامية والفصحى والفرنسية)<sup>3</sup> وهو ما يبيّن أن "صورة الفصحى لم ترق بعد لمنافسة الصورة الإيجابية التي تتمتع بها الفرنسية لغة المستعمر القديم، ولعلّ أحسن مثال على هذه الوضعيّة ما نسمّيه بـ"ظاهرة الفرانكو أراب الأنثوية" في المغرب العربي بعد الاستقلال"<sup>4</sup>، حيث تبين الملاحظة أنّ "المرأة المغاربيّة المتعلّمة تميل إلى خلط عاميّةها العربيّة بكلمات وعبارات فرنسيّة أكثر من رفيقها المغاربي المتعلّم"<sup>5</sup>، وعلى سبيل المثال فإنّ "ما يلفت نظر عالم الاجتماع في السلوك اللّغوي للمرأة التونسية هو مبالغتها في استعمال اللّغة الفرنسيّة بدل العاميّة العربيّة التونسيّة النقيّة في حديثها عن الألوان والمقاييس والأرقام و أيام الأسبوع"<sup>6</sup>، ولعلّ الخطر في انتشار هذا السلوك اللّغوي هو أنّه قد يؤدّي إلى "نشأة عرف لغوي عام بين التونسيّات يعطي الأولوية للفرنسيّة، إذ يجعلهن يخجلن من استعمال اللّغة العربيّة"<sup>7</sup>، ولتفسير هذا السلوك اللّغوي المنتشر بين النساء التونسيّات يكون من المهمّ التوقّف عند الجوانب الإيجابية التي تراها النسوة التونسيّات في استعمال اللّغة الفرنسيّة، فهنّ "يعتبرن استعمال لغة الآخر معلما من معالم التحضّر والتفتّح للافتخار"<sup>8</sup> ولهذا تميل المرأة أكثر من الرّجل إلى نطق حرف (r) بنبرة باريسيّة، وهي مثيلة بنبرة الغين (غ) في اللّغة العربيّة<sup>9</sup>.

<sup>1</sup> المرجع نفسه، الصفحة ذاتها.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 201.

<sup>3</sup> محمود الذوايدي؛ الازدواجية اللّغوية...، مرجع سابق، ص 69.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 70.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، الصفحة ذاتها.

<sup>6</sup> المرجع نفسه، ص 145.

<sup>7</sup> المرجع نفسه، ص 146.

<sup>8</sup> المرجع نفسه، ص 148.

<sup>9</sup> المرجع نفسه، ص 149.

فإتقان اللغة الفرنسيّة حتى على مستوى النطق مؤشّر على الحدّثة والرقيّ، ولكن لا يمكن اختزال تفسير ظاهرة الفرانكو أراب المنتشرة بين نساء المغرب العربيّ المتعلّّمت عامّة والنساء التونسيّات خاصّة في عامل الإحساس بالانتماء إلى أوساط راقية تتقن الفرنسيّة، وإنّما هو يتجاوز ذلك إلى بحث المرأة عن تعويض عن الوضع الاجتماعيّ الأكثر تعسّفًا إزاء الأنثى المتعلّّمة أو الجاهلة<sup>1</sup>. وبتعمّق أكبر في الأسباب المفضية إلى هذه الظاهرة التي لا تعكس توازنا في شخصية المغاربة في تعاملهم مع لغتهم العربيّة الفصحى، يمكن القول إن وراءها عوامل متعدّدة، وأنّه لا يمكن اختزالها في معطى واحد.

يتعلّق واقع الازدواجيّة اللغويّة برؤية النخب السياسيّة للغة الأمّ ومدى حماس تلك النخب لجعل اللّغة العربيّة هي الأولى في المجتمع التونسيّ كمثال عن مجتمعات المغرب العربيّ<sup>2</sup> وكذلك برؤية النخب التي من المفترض أن تبادر إلى الالتزام باللّغة الوطنيّة لتطويرها ولجعلها لغة العلم في أبعاده ومجالاته المختلفة، لكن هؤلاء الفاعلين السياسيّين والثقافيين، لم يكن لهم من الحماس ما يسهم في تعزيز العلاقة بين الشباب ولغته الأمّ، الأمر الذي أفرز ما عبّر عنه الذوادي بضعف التعريب النفسي لدى الشباب<sup>3</sup>، والقصد من ذلك أن "معظم التونسيّين والتونسيّات فاقدون لعلاقة نفسيّة سليمة وعفويّة تدفعهم إلى استعمال اللّغة العربيّة شفويًا، وكتابة قبل الفرنسيّة، وتجعلهم يغيرون عليها ويدافعون عنها ويستعملونها في شؤون حياتهم الشخصيّة والاجتماعيّة بكلّ حماس واحترام"<sup>4</sup>، وعليه فإن لم يُلاحظ حماس لدى الشباب للدفاع عن لغتهم لا قبل الثورة ولا بعدها، وكأنّ الشباب الذي طالب بالحرية والكرامة لا يعتبر الاستعمار الثقافيّ عائقا يحول دون تحقّق الحرية والكرامة.

<sup>1</sup> محمود الذوادي؛ الوجه الآخر...، مرجع سابق، ص 207، وفي ذات السياق وفي المصنّف نفسه يشدّد الذوادي على أن كثرة استعمال المغاربيّات الحديثات لكلمات وعبارات فرنسيّة يقوم لديهنّ بوظيفتين: (1) محاولة الاقتراب من صورة الغالب ومكانته (الفرنسية على الخصوص) وذلك باستعمال لغتهما بقصد التخفيف من الشعور بالدونيّة أمام الغالب (الفرنسي والفرنسية). (2) يعتبر استعمال الفرنسية سلاحا رمزيًا يستعمله الجنس الأنثويّ المتشوّق إلى الحدّثة بمثابة <عملية احتجاج سلمية> موجّهة أساسا ضدّ الذكور الذين لا يزالون يضعون العراقيل أمام مساواة الرّجل بالمرأة في المجتمعات المغاربيّة الثلاثة. وبعبارة أخرى فإنّ نمط الفرانكو أراب الأنثوية في المغرب العربيّ هو حصيلة صنين من ممارسات القهر التي تتعرّ لها المرأة المغاربيّة الحديثة: (أ) القهر الناتج عن علاقة المستعمر بالمستعمر، القديم/الجديد، و (ب) القهر الناتج عن تقاليد وتركيبة وعقليّة مجتمعات المغرب العربيّ بخصوص معاملة الأنثى المتطلّعة إلى ممارسة الحياة العصريّة. المرجع نفسه، ص 225.

<sup>2</sup> للتوسّع في هذه المسألة يرجى الرجوع إلى: محمود الذوادي؛ العلاقة بين شخصية بورقبيّة وأزمة الهوية في المجتمع التونسيّ الحديث من منظور علم النفس الاجتماعيّ، دراسات عربيّة العدد 1/11 السنة الثانية والثلاثون، أيلول/ تشرين الأول- سبتمبر / أكتوبر 1996، ص 111-119.

<sup>3</sup> محمود الذوادي؛ الازدواجيّة اللغويّة...، مرجع سابق، ص 187.

<sup>4</sup> المرجع السابق، ص 71.

## ملاحظات ختامية:

يمثل توجه عالم الاجتماع التونسي محمود الذواودي، مقارنة لواقع السلوك اليومي للفرد العربي، ولحراك المجتمع العربي على اختلاف أقطاره، من منظور علم الاجتماع الثقافي. وقد كشفت هذه المقاربة عن:

- أهمية كبرى للرموز الثقافية في حياة الإنسان، حتى أنها هي محور حياة البشر.
- محورية اللغة في الرموز الثقافية، فهي أمّ الرموز الثقافية، وهي بذلك توقّر مدخلا لدراسة شخصية الفرد والجماعة.
- كشفت دراسة واقع اللغة الأمّ في المغرب العربي عامة وفي تونس تحديدا عن شخصية مضطربة في التعامل مع اللغة الأمّ، وهي شخصية تبحث عن التعويض عن القهر الذي لحق بها من الغالب بطرق مختلفة منها الاقتداء به في لغته وحتى في طريقة نطقه.
- تحقيق الشباب لطموحاتهم في الحرية والكرامة وهما من مكونات الرموز الثقافية يتطلب منهم التعريب النفسي الذي لا يتحقق إلا بالانتباه إلى الوجه غير التقليدي للتخلف، المسعى بالتخلف الآخر أي ذلك التخلف النفسي الثقافي الذي يجعل الفرد كما الجماعة يعيشان شعورا بالدونية تجاه غالبيهما.
- الاشتغال على الثقافة كعامل مستقل بذاته، أو باعتبارها مدار اهتمام علم الاجتماع الثقافي المركزي، يسمح للباحثين وغيرهم بالوقوف عند أبعاد أخرى غير تقليدية في مقارنة أسئلة اللحظة الراهنة: الهوية/الاستقلالية والقطع مع التبعية/العلاقة بين الجنسين/العلاقة بين النخب السياسية والفكرية والشعوب.

## قائمة المراجع:

1. الذواودي (محمود): تأملات في أصالة الديمقراطية؛ مجلة الموقف عدد1، جويلية 1992.
2. الذواودي (محمود): الثقافة ميدان تنظير وممارسة مستقل بذاته؛ مجلة العلوم الإنسانية، العدد 10 صيف 2005.
3. الذواودي (محمود): الوجه الآخر للمجتمع التونسي الحديث؛ تونس، تبر الزمان 2006.
4. الذواودي (محمود): الموقف المزدوج للمجتمع التونسي إزاء تعاطي المشروبات الكحولية وتعطيل قدرته على التعامل معها؛ شؤون اجتماعية، العدد89، ربيع 2006.

5. الذواودي (محمود): الثقافة بين تأصيل الرؤية الإسلامية واغتراب منظور العلوم الاجتماعية، بيروت، دار الكتب الجديدة المتحدة، 2006.
6. الذواودي (محمود): المقدمة في علم الاجتماع الثقافي برؤية عربية إسلامية؛ بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع 2010.
7. الذواودي (محمود): لسان العلوم الاجتماعية والإنسانية يقول: استعمل اللغة إذا أنا إنسان، الحياة الثقافية، ماي 2010.
8. الذواودي (محمود): نظرية الرموز البشرية وقواعد تأثيرات أنماط السلوكيات الجماعية على سلوكيات الناس، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، 2011
9. الذواودي (محمود): الازدواجية اللغوية الأمانة: ارتباك الهوية وتصدها، المغرب والمشرق. Com، تونس، تبر الزمان 2013
10. الذواودي (محمود): المجتمعات العربية وعلاقتها النفسية والاجتماعية بلغتها في الميزان: المغرب العربي مثلا بعيوننا المستحدثة، الرياض مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربية، الطبعة الأولى 2015.
11. الذواودي (محمود): أبجدية ميلاد مفهوم البعد الثالث للإنسان؛ الحياة الثقافية العدد 257، جانفي 2015.
12. الذواودي (محمود): البعد الثالث للإنسان: مفهوم عربي لتأصيل المعرفة في الطبيعة البشرية، وفهم تضامن وفرقة الشعوب، إضافات العددان 29-30 ربيع 2015.
13. الذواودي (محمود): الفنون بوصفها لغات بشرية وليدة اللغة الأم، مجلة فنون، العدد 12، 2016.
14. إيان كريب؛ النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، ترجمة محمّد حسين غلوم، مراجعة محمّد عصفور، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة، عدد 244، 1999.
15. DHAOUADI (M): L'Univers des Symboles Humains: l'Autre Sous- développement au Maghreb et au Tiers- Monde ; Tunis, L'Or du temps 2010.
16. <https://www.moe.gov.ae/>



المدينة كمختبر للمقاومة والاحتجاج الاجتماعي بالمغرب: حالة مدينة الرباط  
The city as a Laboratory of Resistance and Social Protest in Morocco: Rabat City's Case  
ط.د. عبد الإله باحمو (كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ابن طفيل- القنيطرة، المغرب)  
Phd Student. Abdelilah Bahamou (Ibn Tofail University, Morocco)

## مستخلص:

تسعى هذه الدراسة لتسليط الضوء على الكيفية التي تحولت بها مدينة الرباط من مجال أكثر جاذبية للعيش والاستقرار لدى الإنسان المعاصر، إلى مختبر للتعبير عن السخط الاجتماعي والشعور العارم بالتذمر والاحباط الجماعي، وذلك عبر اتجاه منهجي كفي ومقاربة نظرية سوسيولوجية متعددة المداخل بغاية الإحاطة بالموضوع قدر الإمكان من زوايا متعددة، وقد أبرزت نتائج الدراسة أن مدينة الرباط ليست وجهة استراتيجية وقبلية يحج إليها المحتجون من مختلف مناطق المغرب لرفع مظالمهم فحسب، بل هي أيضا فضاء منتجا للمقاومة ضد التهميش من داخل أحيائها الصفيحية والمطالبة بالحق في المدينة.

الكلمات المفتاحية: المدينة، المقاومة، الاحتجاج الاجتماعي، حي الكورة، المجال.

## Abstract:

This study aims to discuss how Rabat, Morocco, has been transformed from an “attractive city” of “stable living” into a social laboratory of expressions of discontent and disappointment. Methodologically, the study is based on a qualitative approach grounded on a theoretical framework that gives credit to social expressions of the margin and the internal dynamics of the city. The findings illustrate that the city of Rabat is not merely a strategic and symbolic destination for protesters from the twelve regions of the kingdom to demand their rights. The Moroccan capital is a productive city for resistance from within its slums to demand the right to the city. Therefore, the study shows how Rabat is a city characterized by a long history of resistance against marginalization. The city offers an insight into how the image of the city is in a vibrant process of (re)definition.

**Keywords:** Rabat, city, resistance, social protest, and space.

## مقدمة:

شهدت مدينة الرباط في العقدین الأخيرین تنامياً ملحوظاً في مندوب المقاومة والاحتجاج من طرف فئات اجتماعية مختلفة، وقد اتخذ هذا الاحتجاج طابع المواجهة والعنف، إنه يعبر بشكل جلي عن توتر العلاقة بين السلطة والمجتمع. وإذا كانت مدينة الرباط مجال استقطاب وانجذاب للاستثمار والعيش وتنظيم التظاهرات الثقافية، فهي أيضاً خط المواجهة حيث تنشئ الدولة باستمرار أساليب حكومية جديدة لإنتاج النظام الاجتماعي والسياسي. إن هذه الأساليب المتنوعة، هي ما يجعل المدينة ليست موقعا رئيسيا للابتكار المثير للجدل فحسب، ولكن أيضاً مجالاً اجتماعياً يتم فيه اختراع استراتيجيات جديدة لتنظيم الحياة الاجتماعية والتحكم فيها وفرض السلطان عليها.

تهدف هذه الدراسة لتسليط الضوء على "المركزية" التي تحظى بها المدينة للتأثير في السلطة السياسية، باعتبارها مجالاً مُستقبلاً ووجهة يُحج إليها المحتجون من مختلف مناطق المغرب للتعبير عن غضبهم واستيائهم تجاه بعض القرارات والقوانين التي لها آثار سلبية عليهم من جهة، ثم كونها مجالاً منتجا لفعل المقاومة والاحتجاج من طرف ساكنة أحيائها المهمشة للتعبير عن حقهم في المدينة من جهة ثانية، بعدما كانت العلاقات بين الأفراد هشة وسطحية، بدأت تظهر أشكال احتجاجية جديدة تحمل قضايا مجتمعية واقتصادية وسياسية وثقافية، سيما مع التحول الذي عرفه المغرب في مجال حقوق الإنسان وحرية التعبير، ليتحول معه الشارع من مجال طرقي إلى قبلة للتظاهر ومن بنية تحتية إلى بنية احتجاجية. وحسب بحثنا الجغرافي يظهر أن الدراسات التي اهتمت بفعل الاحتجاج والمقاومة في مدينة الرباط شبه منعدمة أو تأتي في سياق دراسة أشمل، وللمساهمة في سد هذا الفراغ العلمي حول هذا الموضوع ارتأينا أن تتمحور إشكالية بحثنا حول "مدينة الرباط كمختبر للمقاومة والاحتجاج الاجتماعي، والسؤال الذي نود الإجابة عليه هو: كيف تحولت مدينة الرباط من مجال استقطاب وانجذاب للاستثمار إلى مختبر للتعبير عن الرفض الاجتماعي والشعور العام بالتدمير والاحباط الجماعي؟

## أولاً: الإطار النظري والمنهجي

بالنظر إلى تعقد وتشعب موضوع الدراسة، اعتمدنا ولغايات منهجية إطاراً نظرياً متعدد المداخل، فدراسة هذا الموضوع من نظرة سوسيولوجية تم تبني "مقاربة متعددة المداخل" بغية الإحاطة به قدر الإمكان من زوايا

متعددة. إن هذا الاختيار مرده أن موضوع البحث يرتبط بثلاث جوانب أساسية مترابطة: المقاومة، الاحتجاج الاجتماعي والمدينة.

1- نظرية الحركات الاجتماعية الجديدة: اتخذت المجالات العامة كفضاءات للمقاومة والاحتجاج، ويعتبر آلان تورين (Alain Touraine) أهم الباحثين الذين طوروا هذه النظرية، والذي حاول تجنب المقاربات البنيوية (الماركسية) والتركيز على أنماط العلاقات الاجتماعية الجديدة التي أصبح ينسجها الأفراد مع الدولة، مسلطا الضوء بذلك على الفاعلين الاجتماعيين وعلى قدرتهم على التغيير<sup>1</sup>.

2- نظرية المقاومة: ستمكننا هذه النظرية من فهم الكيفية التي يقاوم بها أفراد المجتمع السلطة، سواء بشكل معلن أو خفي، ثم تتبع مسار أو حركية المقاومة، وكيف تتحول من مقاومة خفية إلى مقاومة معلنه كشكل جديد من أشكال الاحتجاج الاجتماعي لدى الفئات الفقيرة والمهمشة. ويعتبر "إرفينغ كوفمان" (Goffman Erving) من أوائل السوسيولوجيين الذين حاولوا تحليل الاستراتيجيات التي ينفجها الأفراد لمقاومة القواعد والقوانين التي تفرض عليهم من طرف المؤسسات الكلية، بغية فرض نمط عيش جديد مغاير لنمط العيش المفروض عليهم، كما سيمكننا هذا المدخل النظري من فهم العلاقة بين السلطة والمقاومة خصوصا مقارنة "ميشال فوكو" (Michel Foucault) الذي يرى أن فهم السلطة والمقاومة مرتبط بفهمهما كفكرة علائقية لا يمكن التعرف على حدود كل منهما، لذلك يكتب هذا الأخير أنه "عندما تكون هناك قوة، هناك مقاومة، ومع ذلك أو بالأحرى هذه المقاومة ليست في وضع خارجي عن السلطة"<sup>2</sup>. وفي الطرح نفسه المتعلق بعلاقة المقاومة بالسلطة يرى "جيمس سكوت" (James Scott) الذي ركز على الأشكال الخفية للمقاومة التي يقاوم بها الضعفاء من الفلاحين والعبيد والعمال والمهمشين السلطة، خاصة في كتابه الهام حول "المقاومة الخفية: كيف يهمس المحكوم وراء ظهر الحاكم"<sup>3</sup>.

3- نظرية المجال: ستساعدنا هذه النظرية في فهم العلاقة مجال/مجتمع/سلطة والمنطق الذي يحكمها من خلال الحركات الاحتجاجية باعتبارها القوى المدنية الوحيدة التي يمكنها مواجهة النظم السلطوية بشكل منظم، ومنه فهم الكيفية التي يقاوم بها السكان ضد بعض السياسات. يرى "هنري لوفيفر" (Henri

<sup>1</sup> Alain Touraine, Le retour de l'acture : Essai de sociologie, Paris, Librairie Arthème Fayard, Collection, Movements, no,3, 1948.

<sup>2</sup> Michel Foucault, the history of sexuality, volume1, an introduction 95 Robert Hurley trans, 1978. in Mahmud Tayyab, "Slums, Slumdogs, and Resistance, American University Journal of Gender Social Policy and Law, 18, no,3, 2010, 685-710.

<sup>3</sup> جيمس سكوت، المقاومة بالحيلة: كيف يهمس المحكوم وراء ظهر الحاكم، ترجمة ابراهيم العريس ومخايل خوري، دار الساق، 1990.

(Lefebvre) أن الإقامة الحقيقية للإنسان هي دائما في المدينة أو بالعلاقة مع المدينة، إنها مسكنه الكبير الأكثر إنسانية، بل هي المجال العام ومركز الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية بالنسبة لسكانها<sup>1</sup>. لذلك يتساءل إذا ما اتجهنا نحو دراسة محتوى المجال وليس الشكل الخالص «pure»، أي حاجيات الناس ومطالبهم، فما الذي يضمن لنا أن هؤلاء الناس سيندمجون في الشكل دون تعرضهم للإهانة أو التجريح؟ وما الذي يضمن لنا أنهم سيدعون للاندماج في هذا اللوجيستيك دون مقاومة؟ فهو ينطلق من مسلمة أساسية مفادها أن المجال يتم توجيهه إيديولوجيا وسياسيا<sup>2</sup>، ويبقى خضوع تنظيم المجال لمنطق معين يدل على وجود سلطة تتحكم في هذا التنظيم.

هكذا سيمكننا الانفتاح على أطر نظرية متعددة من تجاوز النظرة الضيقة في فهم وتحليل موضوعين هما الاحتجاج الاجتماعي والمدينة والنظر لهما بشكل علائقي، ولتحقيق هذه الغاية تم اعتماد المنهج الكيفي وبالخصوص تقنيتي المقابلة نصف الموجهة والملاحظة المباشرة، وواجهتنا الكثير من الصعوبات من بينها ما تفرضه صعوبة اختراق مجال البحث خاصة أحياء الصفيح، مما دفعنا إلى اعتماد "استراتيجية الوساطة" لكسب ثقة المجيبين. وقد شملت الدراسة قلب مدينة الرباط (شارع محمد الخامس، الوزارات، ساحة باب الرواح) ثم "حي الكورة"<sup>3</sup> لكونه يشكل حالة استثنائية من بين الأحياء التي تم القضاء عليها.

أما بالنسبة لعينة البحث شملت 20 فردا (10 مع قاطنة "حي الكورة" و10 مع نشطاء في الحركات الوافدة<sup>4</sup>) موزعة بالتساوي بين الذكور والإناث. وقد عمدنا أن تكون العينة قصدية ومختلفة بحيث تتم مقابلة الأفراد الذين تتوفر فيهم المعايير التي افترضت في المستجوب "النموذجي" والذي يمكن اعتباره عضوا بالقوة في العينة المختارة بما يمكن أن يخدم أهداف البحث وإضافة الجديد بالنسبة للأسئلة المطروحة.

### ثانيا: المدن والاحتجاج الاجتماعي

تشكل المدن منذ القدم مجالات للصراع والتنافس والتوتر وتوزيع أو فرض السلطان، فهي أحيانا تشكل مركزا للأمان والحماية، ومنبعا ومرتعا لانفجارات الأحداث أحيانا أخرى، لكن مع التطورات البنوية التي لحقت المدينة، بحيث انتقلت من مجال ثابت إلى مجال متحرك، إلا أن هذه الحركة غير واضحة الاتجاه، فهي اليوم

<sup>1</sup> Henri Lefebvre, La production de l'espace, 4<sup>e</sup> édition, paris, Antropos, 2000, p102.

<sup>2</sup> Henri Lefebvre, le droit à la ville, Paris, Anthropolos, 1968, p185-186.

<sup>3</sup> قبل إعادة الإسكان كان يسمى "دوار الكورة".

<sup>4</sup> هي الحركات التي اتخذت مدينة الرباط قبلة لها للتعبير عن غضبها ورفع مطالبها.

كما يقول "جون ليفي" (Jean Levy) تشبه محرارا يتلقف أحوال جو العالم المتقلب<sup>1</sup>، بل هي جزء من هذا العالم الذي لا يستقر على حال، فهي مجال خصب للمفارقات والتناقضات يسعد فيها الإنسان تارة ويشقى ويغضب وينتفض ويحتج فيها تارة أخرى، إنها هجينة ومركبة بالمعنى الباسكوني.

في دراسته حول الانتفاضات الحضرية والسلطة السياسية يشير "مانويل كاستلز" (Manuel Castells) أن المدينة هي المجال الاجتماعي الذي يجسد تناقضات الرأسمالية وينتج شكلا جديدا من أشكال الصراع الاجتماعي المرتبط بالتنظيم الاجتماعي لنمط الحياة<sup>2</sup>، ويعتبر أن نضالات الحركات الحضرية المرتبطة برهانات الاستهلاك الجماعي في المدينة هي مصدر التغيير والابتكار الاجتماعي الذي يصبح أحيانا الهدف المحوري للحركات الاجتماعية للطعن في النظام الاجتماعي<sup>3</sup>.

من جهة أخرى، وضمن سياق مغاير، يقول المؤرخ عبد الله العروي كان يحدث أحيانا أن يعارض قاض أو محتسب قائدا ما، وأن يؤدي ذلك إلى اضطرابات مؤقتة، ولكن وثائقا مغربية وشهادات تشهد على أن المدن كانت في أغلب الأحيان هادئة ومحكمة الطوق جيدا، وهذا صحيح لدرجة أن التمرد الحضري كان نادرا<sup>4</sup>.

وخلافا لهذا الرأي ترى الباحثة "مغالي مورسي" (Magali Morsy) أن المشكل التاريخي لا يكمن في تطور المدينة، ولكن في إفشال تحقيقها من طرف السلطة الملكية والقبائل على حد سواء، بحيث كان السلطان يتضرع بتهديدات هؤلاء (أي القبائل) لاحتواء المدن، وعند الحاجة لإضعافها، ففي القرن السابع عشر كان عدد التمردات الحضرية يفوق ثلاث مرات الثورات القروية، وثلثا هذه التمردات كانت تجعل من فاس أو بالأحرى من مثلث فاس ومكناس ومولاي إدريس زرهون إطارا لاندلاعها<sup>5</sup>.

إن أول انفجار اجتماعي حضري عرفه المغرب اندلع في مدينة الدار البيضاء ثم عم مجموعة من المدن المغربية كالرباط وفاس ومكناس ومراكش...إلخ. فقبل هذا التاريخ عرف المغرب بعض الحركات الاحتجاجية

<sup>1</sup> LEVY jean, Urbanisation honteuse, urbanisation heureuse, in : de la ville et du citoyen, Edits Parenthese 2003, p83.

<sup>2</sup> Manuel Castells, Lutttes urbaines et pouvoir politique, Paris, Librairie Maspero, 1973, p12

<sup>3</sup> Ibid, p129.

<sup>4</sup> Abdellah Laroui, les origines sociales et culturelles du nationalisme marocaine 1830-1912, Maspero, 1980, pp129-131.

ورد في: عزيز خمليش، الانتفاضات الحضرية في المغرب: دراسة ميدانية لحركتي مارس 1965 ويونيو 1981، أفريقيا الشرق-المغرب، 2005، ص 47.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص 47.

العنيفة، ولكنها في الغالب ظلت مقتصرة على البادية، ومن أهم هذه الحركات، يمكن ذكر واقعة تمرد "عدي وبهي"، أحداث الريف الدامية في أكتوبر 1958، وتمرد الأطلس المتوسط المسلح في فبراير 1960<sup>1</sup>.

وقد استقر التمرد في المدينة في مجرى الثمانينيات من القرن الماضي بوصفه سجلا جديدا للاحتجاج الاجتماعي، فألى غاية التسعينيات من القرن الماضي كان الاحتجاج الاجتماعي يجري دائما وراء الجدران: في الثانوية، والكلية، والعمل، وفي الإدارات، وفي المقاولات العمومية؛ واستقر فيما بعد في مقرات النقابات، والأحزاب السياسية المعارضة<sup>2</sup>، إن التوتر الذي تعرفه المدن ناتج أساسا من ما سماه "كاليستوت روني" (Gallissot) (Réné) بتعميم البلترة الحضرية «Généralisation de la prolétarisation urbaine»، فالمدن مبلترة أكثر من التجمعات الصناعية والعمالية، وهذا التوتر، إلى حد الاستهلاك اليومي (الناتج عن السكن والنقل والتموين) يجر إلى حافة الانتفاضة<sup>3</sup>.

وقد ساد الاعتقاد في المغرب على أن الدولة المغربية تحكم المدن عن طريق البوادي، وازدادت هذه النظرة ترسيخا من خلال التوجهات الخاصة بإعداد التراب الوطني، والتي كانت تنطلق من مقارنة تعتبر المدن لا تنتج عوامل التوتر نظرا لديناميتها الخاصة، ولكنها تخضع للانعكاسات الثانوية لعدم استقرار البادية. لكن مع تزايد مناطق التوتر في المجال الحضري، بدأت ملامح التحول تظهر جليا وأخذت المدينة تكتسي أهمية على اعتبار أنها حقل للفعل السياسي المتميز بالصراع؛ وذلك بمجرد ما بدأت تطرح بعض المشاكل كتلك المتعلقة بالسكن والتربية والصحة أو الشغل<sup>4</sup>، بل الأكثر من ذلك فإن هذا الاعتقاد قد انعكس إلى ضده؛ إذ أصبحنا نلاحظ في السنوات الأخيرة أن السكان القرويين يتجهون إلى المدن لرفع مظالمهم والمطالبة بحقوقهم (قبائل إقليم زاكورة مثلا)، على اعتبار أن المدينة هي مركز سلطة القرار والمجال المباشر للتأثير في السلطة وإزعاج الجهات المسؤولة. إن هذا التحول الذي عرفه المجال الحضري العام بالمغرب يرجع أساسا إلى عنصرين: الأول اجتماعي مرتبط بالهجرة الوافدة وازدياد كثافة المدن، والثاني يتعلق بالسياق السياسي الذي اتسم بانفتاح النظام السياسي؛

<sup>1</sup> المرجع نفسه ص 52.

<sup>2</sup> عبد الرحمن رشيق، الحركات الاحتجاجية في المغرب: من التمرد إلى التظاهر، منتدى بدائل المغرب، ترجمة الحسين سحبان، 2014، ص 35.

<sup>3</sup> خمليش، ص 96.

<sup>4</sup> المرجع نفسه ص 152.

إذ شكل احتلال المجال العام تحولا في مسار الفعل الاحتجاجي في المغرب أو ما يسمى بالعهد الجديد وعصرنة الاحتجاج<sup>1</sup>.

ومن ثم بدأت الاحتجاجات تتجه شيئا فشيئا نحو المدن واحتلال الفضاءات العمومية والإدارات والمؤسسات التي يراها المحتجون معنية بالتفكير والتمهيش والظلم الذي يعانونه، في إطار من السلمية والتنظيم، وقد بلغ عدد الاحتجاجات إلى 229 ما بين 2010 و2013<sup>2</sup>، أي ما نسبته 24% من مجموع الاحتجاجات في المدن المغربية.

هكذا أصبح المجال العام الذي تم امتلاكه من جديد، ملتقى للأشخاص المهمشين أو ضحايا أزمة الدول (الأشخاص غير الحاملين للوثائق، الأطباء، المحامون، كتاب المحكمة، والمسنون والمعوزون، الفنانون، فضلا عن الطبقات المتوسطة، أو حتى رجال الأعمال بالنسبة للمغرب)، وبالنتيجة أصبحت المدن مجالا للتعبير عن مختلف أشكال الظلم الاجتماعي في مجال توزيع الموارد العامة (مثل التعليم، النقل، الإسكان والصحة إلخ). وظهور العمال المهاجرين، واحتجاج ساكنة أحياء الصفيح، والبايعين المتجولين (الفراشة)، والخرجين العاطلين عن العمل الذين صاروا يشكلون الآن ومنذ عقد من الزمن، من خلال اعتصامهم ومظاهراتهم اليومية، جزءا لا يتجزأ من المنظر العام للعاصمة الرباط<sup>3</sup>، هكذا تحولت المدن من مجالات هادئة وجذابة إلى مجالات للمقاومة والاحتجاج الاجتماعي.

### ثالثا: مدينة الرباط كمختبر للمقاومة والاحتجاج الاجتماعي

تعتبر المدينة منتوجا اجتماعيا؛ أي نتاج لفعل إنساني أو فاعلية إنسانية تراكمت عبر التاريخ، ولكن إذا كانت المدينة نتاج لفاعلية إنسانية، فإنها المجال الأكثر جاذبية للعيش والاستقرار لدى الإنسان المعاصر، لما توفره من حاجيات وإمكانات، وهكذا وبطريقة غير مباشرة ودون أن يكون لديه وعي واضح بطبيعة ما أنتجه فإن الإنسان من خلال إنتاجه للمدينة قد أعاد إنتاج نفسه من جديد<sup>4</sup> عبر "الفعل المقاوم" و"فعل الاحتجاج".

<sup>1</sup> رشيق، ص 21.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 58.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 14.

<sup>4</sup> بارك روبرت، المدينة كمختبر اجتماعي، ترجمة عبد الرحمن المالكي، مدرسة شيكاغو ونشأت سوسولوجيا التحضر والهجرة، إفريقيا الشرق، 2016، ص 176.

وبهذا المعنى وضمن هذا السياق يمكننا اعتبار المدينة مختبرا للمقاومة والاحتجاج الاجتماعي، قد تبدو هذه الفكرة جذابة ومثيرة للاهتمام مثل المدينة كمختبر اجتماعي، لكن ماذا يمكن أن يعني ذلك؟ إن ما يجعل المدينة عبر العالم مختبرا للصراع والتنافس والمقاومة ورفع المظالم، إلى جانب الحجم والتنوع والكثافة، هو المكانة (السياسية والرمزية) التي تحتلها هذه المدينة ووطنيا ودوليا؛ أي أنها مجال يثير الأنظار ويعكس قوة الدول والحكومات وسلطانها ورقابتها. ولأن المدينة جد متنوعة وهجينة اجتماعيا فإنها تصبح مكانا يتم فيه إقامة روابط جديدة وساحات للتظاهر والاحتجاجات (سواء كانت خفية أو معلنة)، حيث تتنافس المطالب لانتراع الحقوق الاجتماعية بالنسبة للفئات الهشة والفقيرة من جهة، أو يكون التنافس على الهيمنة وفرض السلطان بالنسبة للرأسمالين والسياسيين من جهة أخرى، وهكذا ينشأ الخلاف من التفاعلات الدقيقة بين أعداد كبيرة من الأشخاص المتنوعين من حيث المكانة الاجتماعية، الذين يعيشون على بقعة جغرافية واحدة تحد مجالهم الترابي، وهذا لا يعني أن المدن تولد الخلاف «contention» فحسب بل هي مساحة لتوليد التعبئة والسيطرة<sup>1</sup>.

يتميز المشهد الاحتجاجي في مدينة الرباط بتعبئة وسائل تواصلية ومادية ومعرفية تسمح لكل من المحتجين بالتعبير عن مطالبهم أو القضايا الموجبة للاحتجاج، وبالتالي فاختيار الرباط كحائط لرسم القضايا المجتمعية وللتعبير عن المظالم والإهانات والتهميش الذي تعانيه هذه الفئات ليس من باب الصدفة، وإنما يتم اختيارها كونها تمثل مركز القرار السياسي؛ أي هناك إمكانية التأثير ثم أنها مركز حضري أو مسرح الحياة الحضرية كما يقول لويس ويرث (Louis Wirth).

ومن أهم الشوارع الكبرى التي تعرف حركة احتجاجية مكثفة بالمدينة شارع محمد الخامس ويسمى بشارع الأعمال الرئيس، الذي يتواجد به مقر البرلمان والعديد من المؤسسات الكبرى ذات حساسية، ناهيك عن كون التنظيم المجالي للمدينة يسهل عمليات التواصل (شوارع وساحات مفتوحة وواسعة).

تشكل مدينة الرباط – بالنسبة للدولة- رأسمال رمزي جمعي وعلامة التميز إذا ما استعرنا تعبيرات بيير بورديو. إن هذا الرأسمال (متحف محمد السادس، فضاء مارينا، المسرح الكبير، أكبر برج في إفريقيا، كلها في إطار المشروع الضخم "الرباط مدينة الأنوار الثقافية" يعطي المدينة ميزة ومكانة عظيمة ضمن شبكة المدن

<sup>1</sup> Justus Uitermark and others, Cities and Social Movements: Theorizing beyond the Right to the City, Environment and Planning A 2012, RESEARCHGAT, volume 44, pages 2546 – 2554.

العالمية الكبرى<sup>1</sup>، وهذا الأمر له دلالات ومعاني متعلقة بالذاكرة الجمعية، والبعد الأثري، وقوة التاريخ، والهوية السياسية للمدينة؛ كما أنه مرتبط أيضا بالرأي العام السائد حول العواصم سواء على المستوى المحلي أو العالمي. إن هذه الصورة حول المدينة ليست بجديدة، وإنما لها تاريخ عريق في الذهنية البشرية أو كما عبر دافيد هارفي بقوله: إن تعبير المدينة يمتلك تاريخا رمزيا وأيقونيا مغروسا بعمق في السعي وراء المعاني السياسية؛ المدينة على التل، العلاقة بين المدينة والمواطنة، المدينة كتجسيد للرغبة الطوباوية، المدينة كمكان مميز للانتماء داخل نظام دائم التحول زمانيا ومكانيا، يعطي كل ذلك تعبير المدينة معنى سياسيا يحشد خيالا سياسيا حيويا<sup>2</sup>.

وضمن هذا السياق يمكن القول إن مدينة الرباط في العقدين الأخيرين تحولت إلى مختبر للمقاومة والاحتجاج الاجتماعي بالمغرب، خاصة بعد انفتاح النظام السياسي، وهو ما ساهم في تطوير و بروز أشكال وتعبيرات احتجاجية جديدة ذات طابع سلمي وتنظيمي، فمن خلاله (المختبر) يمكن للباحث في علم الاجتماع استعمال مجموعة من الأدوات والتقنيات والمناهج من أجل القيام بالإجراءات المعقدة التي تجري على عينات الأشكال الاحتجاجية لدراسة "الخلل/ المرض"، إذا جاز استخدام هذا التعبير، الذي تكشف عنه الأشكال الاحتجاجية في جسد المجتمع. كل هذا وذاك يساعد الباحث على تشخيص الأمراض/الوقائع الاجتماعية وتحليلها وبناء تفكير جديد أو متجدد حول علاقة السلطة بالمجتمع والمنطق الذي يحكمها.

باختصار إن مدينة الرباط تعتبر مجالا خصبا للمقاومة والاحتجاجات في المغرب، سواء المتعلقة بقضايا وحاجيات المدينة داخليا (كمقاومات أحياء الصفيح) ونسبها بـ"حركة الاحتجاج من الداخل" المتعلقة بالقضايا المجتمعية العامة (الصحة، التعليم والبطالة إلخ) ونسبها بـ"حركة الاحتجاجات الوافدة"؛ فهي مجال منتج ومستقبل للفعل الاحتجاجي، لذا لا يمكن فهم مسار حركة الاحتجاج والمقاومة في الرباط بالتركيز على الحركات الوافدة بمعزل عن الحركية الداخلية والنظر إليهما بشكل علائقي، ومن ثمّ كان فهمنا لمكانة ورمزية الرباط في هذا العمل مرتبطا، في مستوى من مستوياته بالطريقة التي يتمثل بها المجيبين العاصمة الرباط. وفي هذا السياق يقول عبد الله 35 سنة: "إن الرباط هي مركز القرارات المجحفة...نحن هنا نطالب بإسقاط

<sup>1</sup> صنفها "اليونسكو" تراثا عالميا إنسانيا. لذلك، نجد الدولة في توجهها الجديد تسعى باستمرار للتخفيف الصورة الإدارية المهيمنة عليها وتكريس الوجه الثقافي والسياحي.

<sup>2</sup> ديفيد هارفي، مدن متمردة: من الحق في المدينة إلى ثورة الحضر، ترجمة لبنى صبري، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 2017، ص 24-25.

المرسومين المشؤومين ورد الاعتبار للأستاذ". وتضيف سكيينة 30 سنة: "الرباط هي مدينة الاحتجاج... قد تحتج في أماكن أخرى لكن للرباط طابع خاص".

إن نعت الرباط بمدينة الاحتجاج نابع من كونها لا تشكل خلفية الشبكات الاجتماعية فحسب، بل هي أيضاً عنقود شبكات علائقية تساهم في بناء الهوية الجماعية التي قد تمتد إلى ما هو أبعد من حدودها الإقليمية، ولهذا السبب فهي أيضاً خط المواجهة، حيث تنشئ الدولة باستمرار أساليب حكومية جديدة لإنتاج وإعادة إنتاج النظام الاجتماعي والسياسي.

هذه الأساليب المتنوعة هي ما يجعل المدينة ليست فقط مواقع رئيسية للابتكار المثير للجدل، ولكن أيضاً مجالاً اجتماعياً يتم فيه اختراع طرق جديدة لتنظيم الحياة الاجتماعية ومراقبتها والتحكم فيها.

إن اختيار المحتجين للرباط ليس لأنها العاصمة الإدارية فحسب، ولكن لأن المسألة الاجتماعية تخترق المسألة السياسية، فما يسوق له السياسيون في خطتهم وأهدافهم وخطتهم هو الاجتماعي، بل الأكثر من ذلك فهم يعتبرونه المدخل الأساسي لتقوية مكانتهم وفرض سلطانهم. إذن، فلا غرابة أن يتجه المحتجون إلى المكان الذي صدرت فيه تلك القرارات السلطوية والتسلطية التي أثارت غضبهم وامتعضهم<sup>1</sup>، وهذا يدل على وعي الشباب بطبيعة هذه العلاقة (اجتماعي/سياسي)، رغم ضعف المشاركة السياسية، مما ساعد على تشكل ثقافة احتجاجية جديدة.

لقد جعلوا من مدينة الرباط مختبراً حضرياً حقيقياً يتم فيه اختبار العديد من الأشكال الاحتجاجية باستخدام الأماكن العامة والمؤسسات والوزارات، إنها مختبر للابتكار والإبداع المقاوم أو كما كتب الفيلسوف جيل دولوز أن تبديع يعني أن تقاوم «to create is to resist»، ومنه اعتبار "المقاومة هي إبداع". والغاية من هذا الابتكار والإبداع الاحتجاجي والمقاوماتي استخدام المدينة وشوارعها الكبرى كمكبر صوت عابر للحدود عن طريق وسائل الإعلام، بما أن هذه المجالات قابلة للاختراق لأي نوع من التدخلات الإعلامية، فإن

<sup>1</sup> عبد الرحيم العطري، الحركات الاحتجاجية بالمغرب: مؤشرات الاحتقان ومقدمات السخط الشعبي، دفاتر وجهة نظر (14) مطبعة النجاح الجديدة، 2008، ص 127.

<sup>2</sup> Silvano De la Llata, Protest Encampments as Urban Laboratories, The 15M Barcelona Encampment: A Space of Resistance and Creativity in planners Network (Association), (2003), Progressive planning, the magazine of Planners Network, New York, NO. 199, spring 2014, p32-35.

الحركات مفتوحة لأي شكل من أشكال المشاركة والحوار والتغطية الإعلامية لنقل صوتهم إلى مواقع أخرى محلية وعالمية.

### 1- شارع محمد الخامس "أغورا" الاحتجاج والمقاومة

لقد أصبح شارع محمد الخامس فضاءً لعدد كبير من الاحتجاجات والتظاهرات التي لم يسبق له أن خبرها، كما شكل شبكة للتضامن والتعاطف العابر للحدود (مع فلسطين مثلاً)، ولمناقشة أسس المواطنة العابرة للحدود المنشئة للمقاومة والاحتجاج.

استضافت مدينة الرباط جلسات (حلقات) نقاش وقراءات شعرية وورش عمل للكتابة على الجدران، وعروض موسيقية وعروض أفلام وأحداث وتجمعات مفتوحة للجمهور، واستخدم المحتجون أدوات تكبير الصوت، وصمموا هياكلاً بارعة للاستحواذ على شوارع المدينة.

ففي الشارع يحدث التجريب والابتكار وكسر القواعد ودفع الحدود، بل هو المورد الذي استمدت منه ولا تزال مجموعة من الحركات الاحتجاجية قوتها لولادتها وفرض وجودها، واتخذته وسيطاً بينها وبين السلطة بعد أن قررت تجاوز كل مؤسسات ومنظمات الوساطة، فكان امتحاناً حقيقياً لمقاومة ومواجهة المحتجين للسلطة بشكل مباشر. وضمن هذا السياق، أصبح شارع محمد الخامس "أغورا" للاحتجاج والمقاومة، باعتباره رهاناً أساسياً ليس ضمن الاستراتيجيات المعتمدة من طرف المحتجين ومحوراً أساسياً لتحقيق أهداف الحركة الاحتجاجية فحسب، بل هو أيضاً جزءاً رئيسياً من مضمونها، ففي أغلب المقالات ترددت جملة "من هذا المنبر نطالب بالكرامة والحرية والعدالة الاجتماعية"، حيث يتم اعتبار هذا المجال العام (الشارع) منبراً للمطالبة بالحقوق ورفع المظالم.

### الصورتان (1) و (2) من شارع محمد الخامس



المصدر: الباحث

إن احتلال هذا المجال العام بالنسبة للفاعلين الديناميين في الحركات الاحتجاجية ليس بالأمر الهين، نظرا للرمزية التي تحظى بها المدينة عامة وشارع محمد الخامس خصوصا. وفي هذا الصدد يقول محمد 28 سنة: "إن استهدافنا للرباط ليس سهلا على مستوى التنسيق والتنظيم والتعبئة...ولكن الغاية هي أن نعكر مزاجهم...ونرسل رسالتنا إلى العالم"، وفي السياق نفسه تقول فاطمة 27 سنة: "نحن هنا لكي نقول لهم بأن المعركة مستمرة...حتى تحقيق المطالب".

إن هذا الشارع ليس حديث التشكل أو التكوين، وإنما له تاريخ مع مسيرات ومظاهرات سياسية ونقابية واجتماعية وحقوقية، فأصبح رمزا للاحتجاج وملجأ مفضلا لكل ذي مطلب أو حق لأسباب: أولا، لأنه يمثل قلب المدينة النابض «the loop»، وثانيا لمساحته التي تسمح باستيعاب عدد كبير من المحتجين، وثالثا لوجود مؤسسات رسمية في هذا الشارع لها حساسيتها مثل البرلمان وبنك المغرب والبريد المركزي ومحطة قطار نشطة وأسواق ومقاهي ومشاريع جديدة ضخمة، ثم لأنه قريب من القصر الملكي ومن بعض الوزارات، فضلا عن كونه محاطا بفنادق وقنوات للبحث الفضائي ومقرات منابر إعلامية بما يتيح حضورا وازنا وقويا للصحافة الوطنية والدولية. كل ذلك أكسب هذا الشارع رمزيته وأهميته فراكم تاريخا أعطى لمسيرات الاحتجاج الاجتماعي دينامية دلالية في استراتيجيتها التواصلية<sup>1</sup>.

## 2- حركية الاحتجاج والمقاومة من الداخل

لا أحد ينكر أن المدن أماكن نابضة بالحياة ونشيطة وخلاقة وجذابة، ومع ذلك عندما يغضب الناس أو يخيب أملهم من السياسات أو القرارات التي لها آثار سلبية عليهم، يمكن أن تصبح المدن بعد ذلك بؤر احتجاج واضطراب سياسي. إن "هَجَانة الاحتجاج" بمدينة الرباط كمختبر اجتماعي متعدد الاستخدامات «Mixed-use»؛ من وجهة وقبلة للمحتجين من مختلف مناطق المغرب إلى مجال مُنتج للمقاومة والاحتجاج من طرف ساكنة المدينة نفسها، تدفعنا إلى التساؤل عن مدى تأثير الحركات الاحتجاجية "الوافدة" على تشكُّل فعل المقاومة لدى ساكنة المدينة عامة وساكنة أحياء الصفيح تحديدا.

يمكن القول إن بؤادر هذا التأثير ترجع إلى ما أنتجته حركة 20 فبراير سنة 2011 في زمن ما سُمي "بالربيع العربي"؛ إذ ساهمت في تشكيل ثقافة التظاهر والاحتجاج العلني لدى المغاربة، لكن هذا التأثير سيزداد قوة ويتعزز باستمرار مع اعتبار مدينة الرباط مجالا مفضلا لممارسة فعل الاحتجاج. من هنا بدأت تتشكل فكرة

<sup>1</sup> منير جوري، الخطاب السياسي والفضاء العمومي في زمنية الاحتجاج، عالم الكتب الحديث، 2018، ص 83.

الاحتجاج في الأحياء الصفيحية، ومنه استيعاب فكرة المجال العام (الشارع) للتعبير عن الحق في السكن أو بالأحرى في المدينة والعدالة الاجتماعية والمجالية، وأن من حق المواطنين مقاومة التسلط ورفع مظالمهم والمطالبة بإعادة انتخاب سلطة جديدة تستجيب لمتطلباتهم، خاصة بعد تعديل الوثيقة الدستورية التي تنص على حق الحركات الاجتماعية في الاحتجاج والتظاهر السلمي، ثم التزام المغرب بالموثيق الدولية المؤطرة لذلك.

### أ- مقاومة أحياء الصفيح بالرباط: حالة "حي الكورة"

إن اختيارنا حي الكورة<sup>1</sup> كمجال للدراسة محكوم بمحددتين أساسيتين، الأول: كونه يشكل استثناء من بين الأحياء التي تم القضاء عليها شكلا ومضمونا بالمغرب عامة، وفي عاصمة المغرب تحديدا بهذه الطريقة وبالحدة نفسها؛ بحيث تم إعادة إيواء قاطنيه في موقعهم الأصلي بعد فشل محاولات عدة لترحيلهم من طرف الدولة، والثاني راجع إلى الموقع الاستراتيجي الذي يحتله في العاصمة الرباط وبواجهتها البحرية تحديدا.

ويقع هذا الحي الصفيحي على مساحة 20 هكتارا بين إقامات الصباح وحي الأحباس، ويعود ميلاده إلى سنة 1935، ويعتبر أضخم تجمع سكاني صفيحي بالمدينة، وقد احتضن جماعات نازحة من مختلف أنحاء المغرب، التي اتخذت من الخيام مساكنها في البداية قبل أن تتحول إلى بناء أكواخ من الصفيح والقصدير، وكان هذا الدوّار<sup>2</sup> يضم 1000 بَرَآكة<sup>3</sup> وأكثر من 3000 أسرة<sup>4</sup>، وقد مر "مشروع الكورة" كما تسميه السلطات عبر ثلاث أشطر متفرقة في الزمن مع تعدد في المتدخلين.

### 1- المقاومة من أجل بناء "البرآكة"

إن فهم مسار المقاومة لدى ساكنة "دوّار الكورة" يقتضي منا وضعه في سياقه العام وخلفياته التاريخية، لأنه مستحيل معرفة الكل-كما يقول باسكال- إذا كنت لا أعرف الأجزاء بدقة، لكن أعتبر من المستحيل معرفة الأجزاء إذا كنت لا أعرف مجمل هذه الأجزاء. إن فعل المقاومة كشكل من أشكال الاحتجاج الاجتماعي ليس

<sup>1</sup> كان يسمى "دوار الكورة" قبل عملية الهدم.

<sup>2</sup> يقصد بـ "الدوّار" يقصد بالدوار في هذا البحث بالتجمع السكني العشوائي الذي يتكون من مجموعة من "البرآيك القصديرية" أو المنازل العشوائية داخل المدن. وتتميز هذه التجمعات السكنية العشوائية بالطابع القبلي والعشائري رغم تواجدها في المدن. ودوار "الكورة" من بين هذه النماذج السكنية قبل أن يتم إعادة إسكان قاطنية ويتحول اسمه من "دوار الكورة" إلى "حي الكورة".

<sup>3</sup> يقصد بـ "البرآكة" جمعها "برآيك" وهي من أصل Baraque في اللغة الفرنسية، ويقصد بها السكن العشوائي المبني بشكل سيء وغير صلب من بقايا مواد متنوعة كالبلستيك والكارتون والخشب والقصدير إلخ، ويوجد هذا النوع من السكن في منطقة سكنية غير خاضعة لقوانين التعمير المنظم، وغالبا ما تكون هذه المناطق في هوامش المدن الكبرى.

<sup>4</sup> كتابة القائد، الملحق الإداري الخامسة، جماعة يعقوب المنصور، الرباط.

بالفعل الجديد وإنما موجود منذ وجد الإنسان. إن أهمية الوقوف عند البعد التاريخي تمكننا من فهم الواقع الاجتماعي لهؤلاء، ثم فهم علاقتهم مع السلطات التي راهنت على تحييدهم لعقود من الزمن، وفي هذا الصدد يقول سعيد 50 سنة: "إن استفادتنا من التعويض (يقصد السكن اللائق) لم تكن بالأمر الهين، وإنما هي نتاج لفعل مقاوم دام لسنوات... كنا نقاوم لأجله كما نقاوم لأجل لقمة العيش".

46

نستنتج من هذا التصريح أن المواطن القاطن في البيوت القصدية هو مواطن مقاوم باستمرار سواء في العلاقة مع مجاله الداخلي (الحي) أو في العلاقة مع المجال الخارجي الذي يحيط به (المدينة، السلطة). وهنا تظهر العلاقة الوطيدة بين المجال والمقاومة، إذ لا يمكن فصل المجال عن فعل المقاومة، وكأن لسان حالهم يقول "إن مفتاح مجالنا موجود في مقاومتنا ومفتاح مقاومتنا موجود في مجالنا"، وهذه معادلة تاريخية معقدة بامتياز.

إن بداية فعل المقاومة بالنسبة لساكنة "دوار الكورة" كانت منذ وصولهم إلى المدينة، لأن القرية بوسائلها التقليدية لم تعد تضمن لهم أبسط ظروف العيش، وبالتالي يكون الالتقاء الأول بالمدينة غالبا ما يكون من خلال الالتقاء بحي من أحيائها "الشعبية"<sup>1</sup> كأول خطوة للاندماج في الحياة الحضرية.

من خلال العمل الميداني تبين لنا بأن الأحياء "العشوائية" أكثر من مجرد مكان للإيواء، بل مجتمعات قوية تدعم سبل عيشها بإبداع استراتيجيات خاصة لإثبات وجودها في المكان الذي ترغب الاستقرار فيه، سواء كانت هذه الاستراتيجيات ظاهرة أو كامنة. وكما عبر أغلب أفراد العينة بأن الأحياء الصفيحية هي الخيار الوحيد أمامهم لتحسين وضعهم أو على الأقل لتحقيق الاستقرار أو البحث عن "قبر الحياة" كحلم ينغص حياة كل أسرة بسيطة- فقيرة كل يوم، وقد ابتكر قاطنة الكورة مجموعة من الاستراتيجيات لبناء البراكات، من أهمها:

أ- استراتيجية "التدوير": وهي عبارة عن مبلغ مالي يقدمه المواطن القاطن في البيوت الصفيحية كرشوة لعون السلطة أو القايد مقابل غض الطرف عن "البرّاكة" التي يشيدها وبشرط أن تتم العملية ليلا وفي أسرع وقت. وهكذا يعبر المستجيبين الصفيحيين عن طريقة تشييد مساكنهم خَاصُّكَ تَبْنِي حَسْبِي مَسْبِي"، ومعنى ذلك أن عمليتي التفاوض والبناء يجب أن تتم بشكل سري، وينطبق هذا الأمر على توسيع أو فتح باب جديد من البرّاكة نفسها.

<sup>1</sup> بوشناتاني بوزيان، في التحضر والثقافة الحضرية بالمغرب: دراسة في البناء الاجتماعي لمدينة الصفيح، منشورات الحوار الأكاديمي والجامعي، 1988، ص 40.

ب- مرحلة الانتخابات: أثناء مرحلة الانتخابات يفتح الباب على مصراعيه أمام ساكنة الحي الصفيحي لبناء أو إصلاح البراكة، وتعتبر الأحياء الصفيحية خزانا للأصوات وورقة انتخابية ضاغطة، ويصبح ساكنوها مع اقتراب موعد الاقتراع محل عناية فائقة من قِبَل المرشّحين، كونهم في وضعية هشّة يسهل فيها استمالتهم والتلاعب بعواطفهم عبر وعدهم بتسوية وضعياتهم، إما بتوزيع قطع أرضية أو تقديم وعود لقضاء حاجياتهم الاجتماعية أو على الأقل منحهم مبلغا ماليا لتجاوز صعوباتهم الاقتصادية.

ومن حاصل الملاحظات التي قمنا بها تبين لنا أن السكن هو ذلك الجسر بين العزل والانتماء المجاليين، وتحقيقه يضمن مجموعة من المطالب والحاجيات والأهداف الاجتماعية المدينية المشتركة التي قد تمكنهم في المستقبل من ضمان الحق في السكن اللائق وفي الملكية أيضا. فالمسكن أو بالأحرى "البراكة" هي المشروع الاجتماعي الذي تتولد عنه باقي الأهداف أو المشاريع الاجتماعية الأخرى، بمعنى أكثر دقة أن هذه الأهداف الاجتماعية المشتركة هي عبارة عن استراتيجيات مقاومة للاندماج في الحياة الحضرية، التي تعطي السكان شرعية الانتماء الحضري والانخراط فيما يسميه إمانويل كاستلز بـ"الاستهلاك الجماعي" للمدينة.

بتركيز شديد إن طريقة تملك «Appropriation» ساكنة أحياء الصفيح لبقعة "البراكة" هي نتاج لفعل مقاوم متراكم "من أجل الحق في الأرض"، بعد ما كان الدافع هو البحث عن العمل أو زيارة أحد الأقارب بدأت تظهر لهم الفوارق بين البادية والمدينة بأنها جد شاسعة، وأصبحوا يفضلون المدينة عن البادية لما لها من خصائص تميزها عن القرية، خاصة أن الحياة في البيوت الصفيحية أو القصديرية قريبة في بعض جوانبها من الحياة القروية.

#### ب- مقاومة سياسة الترحيل والمطالبة بإعادة الإسكان في الموقع

إن الأرض هي "تقنية سياسية" «Political technology» تُستخدم في ممارسة السلطة<sup>1</sup>، لذلك عملت الدولة على وضع برامج سياسية-سكنية لتحديد ساكنة أحياء الصفيح وترحيلهم إلى ضواحي المدن عبر عمليات "التشتت المجالي"<sup>2</sup>. لكن، هذه البرامج جوبهت بمقاومات من طرف السكان تعبيرا عن استيائهم وتدميرهم تجاه سياسة الإقصاء والتهميش.

<sup>1</sup> Walter, Nicholls and others, *Spaces of Contention: spatialities and social movements*, eds. Ashgate, 2013, p13.

<sup>2</sup> غالبا ما تقوم الدولة على تشتيت ساكنة أحياء الصفيح وإبعادهم عن مركز المدينة اتجاه مدينة سلا أو تمارة أو تامسنا وغيرها.

فالسكن كما يقول "مارتن هيدغر" يشمل دائما فكرة البقاء بجانب الأشياء، لأن الغاية والهدف الاجتماعي من السكن ليس هو الحصول على شقة إسمنتية-عصرية، وإنما الهدف أن يكون هذا السكن قابلا للتساكن «Habitable»، وقد لا يكون ضمان الحق في السكن كافياً لضمان الحق في المدينة، ولكنه خطوة ضرورية نحو ضمان ذلك الحق<sup>1</sup>. ففي أحد خطابه أشار الملك "محمد السادس" قائلا: "إن غايتنا المثلى، ليست فقط تحقيق مدن بلا صفيح، ولا استبدالها بمساكن أشبه بعلب الإسمنت عديمة الروح الاجتماعية، وإنما بالأحرى جعل مدننا ترتقي إلى فضاء للتساكن والعيش الكريم، ومجالا للاستثمار والإنتاج، في الحفاظ على طابعها الحضاري المتميز"<sup>2</sup>.

إن اهتمام سياسة الدولة بالشكل المجالي دون المضمون؛ أي الروح الإنسانية أدى إلى فشل جميع برامجها المعتمدة لهذه الغاية، فعوض محاربة التهميش والهشاشة الحضرية والإقصاء، كانت النتيجة هي إعادة إنتاج ما تسعى لمحاربته وهو إعادة إنتاج الهشاشة بنسخة جديدة، ومنه التشكيك في السياسات الحضرية للسلطة والمطالبة ببدائل جديدة أكثر عدلا. وقد عبر السكان عن عدم ثقتهم في الدولة برفضهم إفراغ مساكنهم الصفيحية حتى بعد إصدار قرار إعادة إسكانهم في الموقع ومنحهم مبلغا ماليا يقدر بـ 1500 درهم للكراء ريثما تنتهي عملية البناء، لذلك لجأت السلطة إلى الهدم القسري باستعمال الجرافات.

لكن توجد نقطة تحليلية أخرى هنا يتعين ذكرها، وهي أن الهاجس وراء عمليات الإخلاء وإعادة الإسكان هو هاجس أمني أكثر منه اجتماعي وثقافي، بغاية التحكم في المجال والإنسان وفق المنطق النيوليبرالي. فالمدينة أصبحت منطقة للاقتصاد والخدمات والاستهلاك، وبالتالي يتحول المجال الحضري إلى سلعة ثقافية ينبغي استهلاكها طبقا لمبادئ السوق<sup>3</sup> ولو على حساب السكان. الشيء الذي يدفعهم إلى ابتداء أشكال من المقاومة للمطالبة بحقوقهم في الحياة الحضرية وحقوقهم في السكن، من خلال ما سماه محمود طيب "رفض العيش دون بدائل" «refusing to live a life of living without alternatives»، ويضيف أن نتائج المقاومة، في أي مكان تنتج كتأثير لعمليات القوة غير المحددة سلفاً والتي لا يمكن التنبؤ بها<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> DON MITCHEL, The Right to the City: Social Justice and the Fight for Public Space, The Guilford Press, New York, 2003, p 19.

<sup>2</sup> مقتطف من خطاب ملك المغرب يوم 12 دجنبر 2006.

<sup>3</sup> Tayyab Mahmud, "Slums, Slumdogs, and Resistance." American University Journal of Gender Social Policy and Law 18, no. 3: 685-710, 2010.p464.

<sup>4</sup> Ibid p464.

إن هذا التوجه النيوليبرالي في إنتاج وإعادة إنتاج المجال الحضري يحول دون "أنسنة" «Humanisation» المجال لعدم إشراك معارف وخبرات الفاعلين الاجتماعيين في أي تخطيط، ولعل هذا ما عبر عنه "ألفرد شوتس" (Alfred Schütz)، بقوله "إن الفاعلين الاجتماعيين يقومون أيضا، وعلى غرار علماء الاجتماع، ببناء معارفهم حول الواقع ليؤولوه انطلاقا من «مخزونات معارف»، بل إنهم ينمذجونه لغايات عملية، فليس ثمة "واقع" معطى في حالة خام، كما يقول شوتس، بل إن الحقيقة الاجتماعية هي في الأصل بناء اجتماعي<sup>1</sup>. وعلى أهمية هذا المعطى تصبح دراسة تمثيلات ساكني الأحياء الصفيحية حول واقعهم أحد المتغيرات الرئيسية لفهم حقيقة البرامج المتبناة في محاربة أحياء دور الصفيح وإعادة إسكان قاطنهم في منطقة غير مجالهم الأصلي.

إن المشكل في عمليات إعادة الإسكان لا يكمن في غياب الخدمات والمرافق فحسب، وإنما هناك إغفال أو تجاهل ليُبعد غاية في الأهمية أثناء بناء المساكن، وهو البعد الثقافي للأسر، فالطريقة التي يتم بها بناء المساكن من طرف المؤسسات المكلفة بالبناء والسياسات الداعمة لها لا تعبر على نحو مناسب عن الهوية الثقافية المغربية، أو كما يتمثل "المغربي" الشقة في ذهنه، بل تعمل على ما يخدم مصالحها وفق منطق "مجهود أقل وريح أكثر". لذلك يلجأ "المستفيدون" إلى إعادة تنظيم بنية شققهم لأنها لا تتناسب وإيديولوجياتهم وقيمهم وثقافتهم؛ وهذا ما عبر عنه أفراد العينة بطرائق عدّة. وعليه نستنتج أن عدم أخذ هذه الأبعاد في الحسبان راجع إلى عدم مشاركة السكان واستشارتهم كفاعلين أساسيين في إنتاج وإعادة إنتاج مجالهم الحضري، مما يسبب العديد من التناقضات التي لا تتماشى ومتطلباتهم.

ضمن هذا السياق يرى "لوفيفر" أن الحق في المدينة لا يتأتى إلا من خلال حياة مدنية أكثر تشاركية وديمقراطية في تمثيل الحياة الحضرية بين أشخاص يحاولون تشكيل مصائرهم الخاصة وفق علاقات اجتماعية تتحكم في إنتاج وإعادة إنتاج علاقات الإنتاج، ويبقى المجال هو محور هذه العلاقات<sup>2</sup>، وهذا لن يتأتى إلا إذا كان الرهان الأساسي في أي تأهيل أو تخطيط أو تنظيم أو إعادة تنظيم المجال المدني هو بناء ما سماه (Neil Brenner) وآخرون في كتابهم المشترك "مدن من أجل الناس لا مدن من أجل الربح"<sup>3</sup>؛ بمعنى بناء المدن

<sup>1</sup> Alfred Schütz, *Le Chercheur et le quotidien: Phénoménologie des sciences sociales*, traduit par Anne NoschisGilliéron; postface et choix de textes par Kaj Noschis et Denys de Caprona; préface de Michel Maffesoli, méridiens klincksieck; 3, Paris, Klincksieck, 2008.

<sup>2</sup> Lefebvre Henri, *le droit à la ville*, paris, Anthropos, 1968

<sup>3</sup> Neil Brenner, Peter Marcuse, and Margit Mayer, *CITIES FOR PEOPLE, NOT FOR PROFIT, Critical urban theory and the right to the city*, First published, Routledge Taylor & Francis Group, New York and London, 2012.

التي تتوافق مع الاحتياجات الاجتماعية البشرية بدلاً من تسليع المجال الحضري وتضيق الخناق عليه بدعوى الحتمية الرأسمالية أو النيوليبرالية.

وبوقوفنا عند مدلولات آراء أفراد العينة، وجدنا أن المعنى الحقيقي للحق في السكن اللائق هو الاستفادة من مختلف الخدمات التي تقدمها المدينة، فالمجال الذي يقطنون فيه هو امتياز لا يمكن التنازل عنه، لما يوفره من خدمات وقرب من المركز وإمكانية الاستفادة من مختلف المؤسسات والمرافق الاجتماعية والصحية، كما يوفر لهم فرص الشغل. وبذلك قد تبدو مقاومة ساكنة "حي الكورة" في ظاهرها من أجل الحق في السكن اللائق، لكن في عمقها هي من أجل "الحق في المدينة" بالمعنى اللوفيفري. إن فكرة "الحق في المدينة" تعني أن كل مواطن يضمن الحق في استهلاك ما توفره المدينة المستدامة؛ بمعنى أنه له الحق في الأرض الحضرية وفي السكن وفي الصرف الصحي البيئي وفي البنية التحتية الحضرية، وفي النقل العام والخدمات العامة، وفي العمل والترفيه في أوقات الفراغ والاستمتاع بالمساحات الخضراء. وهذا ما راهن عليه قاطني حي الكورة من خلال مقاومتهم، لكن يبقى تحقيق هذا الرهان غير مرتبط بإعادة الإسكان في الموقع، بقدر ما هو مرتبط، بشكل كبير بسؤال العدالة الاجتماعية والمجالية.

#### خلاصة:

كان من الممكن أن تلعب المدن - بحكم تعدد واختلاف أنشطتها وقنواتها وأجهزتها- دوراً أساسياً في تأطير سلوك الأفراد وتوظيفه، ولكن هذه المدن أصبحت في غالبيتها متشظية ومنفجرة، وفي كثير من الأحيان عبارة عن مجال لتراكم الاخفاقات والعجز في مختلف الميادين<sup>1</sup>. وبالتالي إذا كانت المدن أماكن نابضة بالحياة ونشيطة وجذابة، فإنها مع ذلك عندما يغضب الناس أو يخيب أملهم من السياسات أو القرارات التي لها آثار سلبية عليهم، يمكن أن تتحول إلى بؤر احتجاج واضطراب سياسي في ظل غياب سياسة تنموية عمومية واضحة من شأنها أن تهون من فداحة التفاوتات المجالية والاجتماعية وتقلص من مظاهر التمييز والإقصاء الذي تعيشه فئات عريضة من المجتمع إلى تحقيق العدالة الاجتماعية والمجالية.

إن السؤال المركزي الذي يفرض علينا نفسه بقوة في موضوع الاحتجاج الاجتماعي بالمغرب لا يتعلق بسؤال الثابت والمتغير في الفعل الاحتجاجي، بقدر ما هو مرتبط بدرجة التأثير الذي يمكن أن يحدثه هذا الفعل في تغيير الوضع. والمتبع لمسار الاحتجاج بالمغرب سيلاحظ تراجع تأثير الحركات الاحتجاجية الجديدة، رغم التزايد

<sup>1</sup> عزيز خمليش، الانتفاضات...، مرجع سابق، ص 151.

المتنامي لها واحتلالها للمجال العام، وأقصى ما يصل إليه هذا التأثير هو أن يدفع بالدولة لاستخدام أسلوب القمع والاعتقالات، وبالتالي يبقى هذا المسار محكوم بمنطق دائري ثلاثي الأبعاد؛ يبدأ باحتجاجات من أجل مطالب اجتماعية يتبعها قمع ومحاكمات واعتقالات تليها المطالبة بإطلاق سراح المعتقلين وتحقيق المطالب، ثم العودة لنقطة الصفر وهكذا دواليك، والسؤال الملح هنا: هل يمكن أن يخرج الاحتجاج المغربي من هذه الحلقة لتحقيق التغيير المنشود؟ وهل هناك عوائق تحول دون ذلك؟

#### قائمة المراجع:

1. المالكي عبد الرحمن، مدرسة شيكاغو ونشأة سوسيولوجيا التحضر والهجرة، إفريقيا الشرق، 2016.
2. عزيز خمليش، الانتفاضات الحضرية في المغرب: دراسة ميدانية لحركتي مارس 1965 ويونيو 1981، أفريقيا الشرق-المغرب، 2005.
3. رشيق عبد الرحمن، الحركات الاحتجاجية في المغرب: من التمرد إلى التظاهر، منتدى بدائل المغرب، ترجمة الحسين سحبان، 2014.
4. العطري عبد الرحيم، الحركات الاحتجاجية: مؤشرات الاحتقان ومقدمات السخط الشعبي، دفاتر وجهة نظر (14)، مطبعة النجاح الجديدة، 2008.
5. جوري منير، الخطاب السياسي والفضاء العمومي في زمنية الاحتجاج، عالم الكتب الحديث، 2018.
6. بوشنفاتي بوزيان، في التحضر والثقافة الحضرية بالمغرب: دراسة في البناء الاجتماعي لمدن الصحف. منشورات الحوار الأكاديمي والجامعي، 1988.
7. هارفي ديفيد، مدن متمردة: من الحق في المدينة إلى ثورة الحضر، ترجمة لبنى صبري، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 2017.
8. Don Mitche, The Right to the City: Social Justice and the Fight for Public Space, The Guilford Press, New York, 2003
9. LEVY jean, "Urbanisation honteuse, urbanisation heureuse", in de la ville et du citoyen, Edits Parenthese 2003.

10. Manuel Castells, Luttés urbaines et pouvoir politique, Paris, Librairie Maspero, 1973.
  11. Laroui, les origines sociales et culturelles du nationalisme marocaine, 1830-1912, Maspero, 1980.
  12. Lefebvre Henri, le droit à la ville, paris, Anthropos, 1968.
  13. Neil Brenner, Peter Marcuse, and Margit Mayer, Cities for people, not for profit, Critical urban theory and the right to the city, Routledge Taylor & Francis Group, New York and London ,2012.
  14. Tayyab Mahmud, "Slums, Slumdogs, and Resistance." American University Journal of Gender Social Policy and Law 18, no. 3: 685-710, 2010.
  15. Silvano De la Llata, Protest Encampments as Urban Laboratories, The 15M Barcelona Encampment: A Space of Resistance and Creativity in planners Network (Association), (2003), Progressive planning, the magazine of Planners Network, New York, NO. 199, spring 2014.
-

دور مُعلمي الدراسات الاجتماعية في تعزيز أبعاد التربية المواطنة لدى طلبة التعليم الأساسي بسلطنة عمان

## The role of social studies teachers in enhancing the dimensions of citizenship education among students of basic education in the Sultanate of Oman

د. حميد بن مسلم بن سعيد السعيدي (وزارة التربية والتعليم، سلطنة عمان)

Dr. Humaid Muslem Said Alsaïdi ( Ministry of Education, Sultanate of Oman)

### Abstract :

This study aimed to identify the role of social studies teachers in enhancing the dimensions of citizenship education among basic education students in the Sultanate of Oman, and its relationship to some variables. The researcher used the qualitative descriptive approach, using the interview tool, and targeted (32) male and female students in government schools in Muscat Governorate and North Batinah Governorate. The study reached a set of results, the most important of which are: The role of social studies teachers in enhancing the dimensions of citizenship education was average, as the percentage of repetitions reached (61%). It came first after duties, then after knowledge related to citizenship, third after national identity, fourth after community partnership, fifth after rights, and lowest dimensions of global and digital citizenship.

The study recommends the need to direct teachers of social studies in citizenship education to pay attention to promoting citizenship education among students and presented a set of proposals for future studies.

**Keywords:** citizenship education, social studies teachers, citizenship dimensions.

## مستخلص :

هدفت هذه الدراسة إلى تعرّف دور مُعلّمي الدراسات الاجتماعية في تعزيز أبعاد التربية المواطنة لدى طلبة التعليم الأساسي بسلطنة عمان، وعلاقتها ببعض المتغيرات، واستخدم الباحث المنهج الوصفي النوعي، مستعيناً بأداة المقابلة، واستهدف (32) طالباً وطالبة في المدارس الحكومية بمحافظة مسقط، ومحافظة شمال الباطنة، وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها: أن دور مُعلّمي الدراسات الاجتماعية في تعزيز أبعاد التربية المواطنة جاء متوسطاً، فقد بلغت النسبة المئوية للتكرارات (61%). وقد جاء في المرتبة الأولى بُعد الواجبات، ثم بُعد المعرفة المتعلقة بالمواطنة، وثالثاً بُعد الهوية الوطنية، ورابعاً بُعد الشراكة المجتمعية، وخامساً بُعد الحقوق، وأدنى الأبعاد المواطنة العالمية والرقمية.

وتوصي الدراسة بضرورة توجيه معلّمي الدراسات الاجتماعية في التربية المواطنة نحو الاهتمام بتعزيز التربية المواطنة لدى الطلبة، كما قدم مجموعة من المقترحات للدراسات المستقبلية.

**الكلمات المفتاحية:** التربية المواطنة، معلّمي الدراسات الاجتماعية، أبعاد المواطنة.

## مقدمة :

أخذت المنظومة المواطنة كفكر اجتماعي وسياسي حيزاً في تشكيل الدولة ذات السيادة، بما يرتبط من تأطير لكافة ممارساتها وفق للتشريعات والأنظمة التي تصاغ في الدولة، من حيث ما تتضمنه من حقوق وواجبات، ومدى تفعيل هذه الحقوق لتشكيل الحقوق الاجتماعية، المدنية، السياسية، الاقتصادية والثقافية، وهذا التأطير لهذه الحقوق في منظومة قانونية تعطي دلالة ومؤشرات على مدى تفعيل المواطنة كواقع ممارس أكثر من أنه تأطير نظري إذ تحتل المواطنة في العصر الحاضر مكاناً بارزاً في أولويات التربية من خلال العملية التربوية بكل جوانبها من مناهج وأنشطة وأهداف واستراتيجيات تدريس، كي يتم تربية الطلبة ليكونوا مواطنين صالحين في مجتمعهم، ويؤدون واجباتهم الوطنية، ويساهمون في تقدم الوطن.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - الفزاري، عادل إبراهيم (2004) التربية ودورها في إعداد الناشئة. مجلة رسالة التربية، وزارة التربية والتعليم، سلطنة عمان العدد (4).

ولقد جاء في الفقرة الثانية من المادة (26) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان النص الآتي: "يجب أن تهدف التربية إلى إنماء شخصية الإنسان إنماء كاملاً وإلى تقرير احترام الإنسان والحريات الأساسية، وتنمية التفاهم والتسامح والصدقة في جميع الشعوب والجماعات العنصرية والدينية وإلى زيادة مجهود الأمم المتحدة في حفظ السلام"، وتمثل هذه الفقرة توجيه خاص إلى أن دور التربية يجب أن يركز على التربية المواطنة من أجل بناء مواطنين يمتلكون الروح الوطنية، بكل ما تمتلكه من قيم ومبادئ إنسانية.<sup>1</sup>

فالمواطنة ليست هوية يتمسك بها الفرد من أجل إثبات انتماءه لوطن ما فقط، وإنما هي مجموعة من الممارسات والسلوكيات التي يجب أن يقوم بها المواطن من أجل أن يعكس مواطنته على الوطن الذي ينتمي إليه، وفق مجموعة من الأطر التي من خلال يتبلور فكر المواطنة.

حيث أن التربية المواطنة مفهوم عقلائي يتطلب البناء الدقيق والمدرّس، كما تحتاج إلى أسس ومبادئ ورهانات واستراتيجيات تهدف إلى ضمان ترسخها في فكر المواطن، لأن دورها ومهمتها تتجاوز الحقوق والواجبات، إلى جوانب متعلقة بالمشاركة والقيم والاتجاهات التي تحقق التكاملية في نمو المجتمع وتطوره.<sup>2</sup>

وتعتبر التربية المواطنة ركناً أساسياً في عملية التعلم، ولها أهمية كبيرة في بناء المواطنة الفاعلة التي تحقق التقدم والنمو للدول، لذا فقد حظيت المواطنة باهتمام كبير من قبل المؤسسات التربوية في مختلف دول العالم إدراكاً منها بأهميتها في بناء الأجيال القادرة على القيام بأدوارها الوطنية.<sup>3</sup>

وعندما تعتمد التربية بناء شخصية الطالب -المواطن- بشكل يجعله يتمتع بالمعارف والمهارات والقيم التي تنسجم مع أهداف السلطة السياسية، وتوقعات المجتمع بما يجب أن يكون عملية مواطنة دولية، يطلق على هذه العملية اسم "التربية المواطنة".<sup>4</sup>

ويعرفها المشابقة (2006) بأنها "مجموعة من الخبرات، والمعارف والمهارات والقيم المباشرة وغير المباشرة ذات الطابع الوطني التي يقدمها المجتمع لأبنائه، من خلال مؤسساته الرسمية وغير الرسمية، لمساعدتهم على

<sup>1</sup> - الأمم المتحدة (1949). الإعلان العالمي لحقوق الإنسان. نسخة إلكترونية. تاريخ زيارة الموقع / 20 / 12 / 2018. الرابط: <https://www.un.org/ar/universal-declaration-human-rights/index.html>

<sup>2</sup> - شعبان، وفاء (2016). التربية المواطنة. بيروت: دار النهضة العربية.

<sup>3</sup> - السعيد، حميد مسلم؛ الحضرمي، أحمد سعيد؛ البلوشي، فهد عبدالله. (2022). درجة معرفة معلمي الدراسات الاجتماعية بالتربية المواطنة في مدارس التعليم الأساسي بسلطنة عمان. مجلة كلية التربية للبنات، جامعة بغداد.

<sup>4</sup> فريجة، نمر (2012). من المواطنة إلى التربية المواطنة: سيرورة وتحديات. جليل: المركز الوطني الدولي لعلوم الإنسان بيبيلوس.

إدراك مكونات كيانهم السياسي، ومكانتهم الاجتماعية، ووعيهم بدورهم الاجتماعي والسياسي، والمساهمة في توجيه أمور المجتمع والسلطة، وقيامهم بواجباتهم وتمسكهم بحقوقهم<sup>1</sup>.

فالمواطنة هي العمود الفقري والأساسي الدستوري لكافة الحقوق والواجبات والحريات في الدولة، وهي أساس الحقوق السياسية والمدنية والاجتماعية التي ينص عليها الدستور والقانون وهو تأكيد لثقافة الديمقراطية، وتأكيد للحقوق المتساوية بين المواطنين، لذا من الضروري إكسابها وغرسها في نفوس النشء<sup>2</sup>.

إذ أن المواطنة تُعد من القضايا ذات الأبعاد المتعددة سياسياً، تربوياً وثقافياً، وهذه الأبعاد تعبر عن معايير الانتماء ومستوى المشاركة من قبل الأفراد في حماية الوطن، كما تعبر عن وعي الفرد بالحقوق والواجبات، والتركيز على المصلحة الوطنية، مما جعل العمل أمراً ضرورياً على صيانة المكتسبات الوطنية<sup>3</sup>، لذا جاءت العديد من الأفكار التي تناهت بالتربية المواطنة وفقاً لمنهجية واضحة وشاملة تحقق اكتساب الأبعاد الأساسية للمواطنة لدى المواطنين بما يساهم في انعكاس ذلك على أدوارهم تجاه الوطن، ويعطي "بروس" المواطنة ستة أبعاد كالاتي: (البعد السياسي، القانوني، المشاركة، الهوية، الاندماج الاجتماعي، والتميز الثقافي).

وهذه الأبعاد تضع نوعاً من التكاملية في المفهوم العام للمواطنة، من حيث تعلقه بكافة جوانب الحياة، إذ تضمن الجانب الوجداني، المهاري، والقانوني، خاصة ما يتعلق بما يمكن تسمية بأركان المواطنة، حيث تضمنت الجوانب السياسية، الاجتماعية، المدنية، المشاركة، الانتماء، والهوية، حيث تبرز جميع الجوانب مشكلة المواطنة الفاعلة التي تنطلق من توجهات داخلية لدى الفرد من خلال الانتماء والولاء، وتنعكس على سلوكياته من خلال القيام بالواجبات والمشاركة في القضايا السياسية، والعمل على التعاون مع المجتمع، ومعالجة قضاياها ومشكلاتها. وترتكز هذه الدراسة على هذه الأبعاد في قياس دور المعلمين في توظيفها في الممارسات التدريسية.

إذ أن العنصر البشري وهو المعلم الذي سيساعد الطلبة على اكتسابهم المعارف المطلوبة من خلال معرفته المتعمقة لمحتوى المادة وحقل تخصصه، إذ يتوقع منه أن يحسن عملية نقل المعارف واكسابها للطلبة، إلى

<sup>1</sup>- المشابقة، أمين. (2006). التربية الوطنية. ط8، عمان: دار الحامد.

<sup>2</sup>- نبيه، سرين عبد الحميد (2008). مبدأ المواطنة، بين الجدل والتطبيق. الإسكندرية: مكتبة الإسكندرية للكتاب.

<sup>3</sup>- عامر، طارق عبد الرؤوف (2012). المواطنة والتربية الوطنية، اتجاهات عالمية وعربية. القاهرة: مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع.

جانب التركيز على بناء مهارات التفكير المتنوعة، وغرس القيم في نفوسهم من خلال القدوة الحسنة، وإكسابهم الاتجاهات الإيجابية تجاه قضايا الوطن والعالم.<sup>1</sup>

فكل ما يقوم به المعلم من تصرفات وسلوكيات داخل المدرسة أو خارجها ينعكس على الطلبة، ويؤكد عيوري (2005) على أن دور المعلم يتجسد عن طريق القدوة الحسنة أمام الطلبة، وقيامه بدور المربي الفاضل الذي يظهر في شخصيته تلك القيم، فهو يبني علاقة ودية مع طلابه ويحترم ذواتهم ويعطف عليهم، يتلمس مشكلاتهم ويحترم آراءهم ويتقبلها حتى يستطيع أن يساهم في تنمية الانتماء في نفوسهم نحو المدرسة.<sup>2</sup>

وهذا الدور الذي يقوم به المعلم كقدوة حسنة يفوق دور المناهج الدراسية من منطلق أن الأداء الجيد للمعلم والسلوكيات الإيجابية التي يظهرها المعلم تساهم في تحقيق التربية المواطنة لدى الطلبة.<sup>3</sup>

كما أشار السيد (1991)<sup>4</sup> على أن المعلم يقوم بدور مهم في تنمية التربية المواطنة لدى الطلبة، نظراً للدور الكبير الذي يقوم به في إبراز هذه القيم، وأكد السويدي (2001)<sup>5</sup> على أهمية دور المعلم في تنمية قيم المواطنة من خلال دوره في التعليم الوجداني، حيث يكون القدوة والنموذج والمثال للطلبة، وقد أوضح كارستن (Karsten, 2002) أن المعلمين ينبغي أن يعلموا الطلبة في هذا المجال وأن يضطلعوا بدور اجتماعي وأن يفكروا بذواتهم العارفة والناقدة.<sup>6</sup>

فلمعلم الدور الأساسي في تفعيل تربية المواطنة، فهو الذي يتحمل مسؤولية تربية وتعليم الطلبة، مما يساهم في تغيير العديد من السلوكيات والقيم المرتبطة بالمواطنة<sup>7</sup>، وتؤكد دراسة كاييرو (Kabiru, 1992)<sup>8</sup> أن لدى المعلمين توجهًا إيجابيًا عامًا نحو التربية المواطنة التي تهيئ الطلبة لأن يكونوا مواطنين مسؤولين في مجتمع

<sup>1</sup>- فريحة، نمر (2012). من المواطنة إلى التربية المواطنة: سيرورة وتحديات. جبيل: المركز الوطني الدولي لعلوم الإنسان بيبولوس.

<sup>2</sup>- نوير، عبد السلام (2005). التعلم كيقظة للمواطنة، المواطنة المصرية ومستقبل الديمقراطية. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية.

<sup>3</sup>- المرهبي، يحيى أحمد (2008). العوامل المؤثرة على قيم المواطنة لدى طلبة المرحلة الثانوية بمحافظة عمران. (رسالة ماجستير غير منشورة). الجمهورية اليمنية، جامعة صنعاء.

<sup>4</sup>- السيد، أحمد جابر أحمد (1991). مدى فاعلية مقررات الدراسات الاجتماعية ومعلمها في تنمية القيم الخلقية والاجتماعية بالحلقة الثانية من التعليم الأساسي. مجلة كلية التربية بسوهاج، جامعة أسيوط (6)، 1.

<sup>5</sup>- السويدي، جمال سند (2001). نحو استراتيجية وطنية لتنمية قيم المواطنة والانتماء. دراسة مقدمة إلى: ندوة التربية وبناء المواطنة، (29-30) سبتمبر.

<sup>6</sup>- Karsten, S. & ali. (2002). Citizenship education and the preparation of future teachers. In Asia Pacific Education Review. 3 (2).

<sup>7</sup>- العرادي، سالم (2004). المؤسسة التعليمية مسئولة عن تعزيز الانتماء الوطني. الرياض: مكتبة العبيكان.

<sup>8</sup>- Kabiru, M. (1992). Citizenship education in Nigerian junior secondary schools. Dissertation Abstract international. No, AAC 9106534.

ديمقراطي، وأن إدراك المعلمين لمفهوم التربية المواطنة كان منسجماً إلى حد ما مع أهداف المنهج الرسمي، وهذا ما أكدته زمان (Zaman, 2006)<sup>1</sup> في دراسته على ضرورة امتلاك المعلمين على تصورات واضحة عن التربية المواطنة.

إذ أن أدوار المعلم في التربية المواطنة ينبغي ألا تركز على نقل المعارف والمعلومات للطلبة، وإنما هناك دور أساسي يتمثل من خلال ما يقوم به المعلم في تربية الطلبة من خلال السلوكيات والممارسات التي تحدث داخل المدرسة، إلى جانب تطبيق الاستراتيجيات التعليمية الحديثة التي تركز على مشاركة الطلبة، والتي تسهم في غرس العديد من الاتجاهات والقيم.

لذا فإن ما تطلبه مهنة المعلم من كفاءات، ومسؤوليات ومهارات واتجاهات وأنماط سلوكية متباينة في التربية المواطنة يجعلنا نتفق على أن المعلم وراء مفهوم المواطنة الواعية، سيما أن للمعلم دور كبيراً في تأكيد مفهوم المواطنة ببعدها المهاري والوجداني من خلال الممارسات اليومية.

فالتربية المواطنة تعتمد على موجبات للسلوك الصادر من الأشخاص الذي تربطهم علاقة بالطالب سواء المعلم أو الأب أو أفراد المجتمع، حيث إنها تعتبر بالنسبة إليه مرحلة تعلم، وهذه المرحلة تتأثر بالجوار الذي يعيش فيه، لذا فالأمر يرتبط بمدى مقدرة هؤلاء على ثبات سلوكهم الإيجابي مما يسهم في تحقيق التربية المواطنة الحقيقية.

فالمعلم هو الذي يساعد الطلبة على اكتساب المعارف المطلوبة من خلال معرفته المعمقة لمحتوى المادة وحقل تخصصه، إلى جانب سلوكياته الوطنية التي تعكس مواطنته، فهو يجب أن يكون مثلاً واقعياً لممارسة أبعاد المواطنة في المواقف التدريسية والأنشطة المدرسية بما يحقق التربية على المواطنة في نفوس النشء من خلال ما يشاهده الطلبة من سلوكيات إيجابية تنمي إليهم المعنى الحقيقي للمواطنة، وفي هذا السياق يتضح أهمية دور معلمي الدراسات الاجتماعية في تعزيز أبعاد المواطنة لدى الطلبة في الممارسات التدريسية، وهذا ما تهدف هذه الدراسة إلى التقصي عنه.

<sup>1</sup> -Zaman, H. (2006). Teacher's perceptions of citizenship and citizenship education; a comparative study. (Unpublished thesis, PHD). The Graduate Faculty of School of Education, University of Pittsburgh.

## مشكلة الدراسة وأسئلتها:

تهدف المنظومة التعليمية في سلطنة عمان إلى تعزيز التربية المواطنة لدى الطلبة، حيث أكدت فلسفة التعليم العمانية على تكوين الإنسان المؤمن بالله تعالى، والمتمسك بمبادئ الدين الإسلامي وقيمه، والمخلص لوطنه وسلطانه، والقادر على فهم مجريات العصر وحسن التعامل معها، والمتملك لمهارات التفكير العلمي والحياة العلمية الإيجابية، والمسهّم في التنمية المستدامة في القطاعات المختلفة بالمجتمع العماني.<sup>1</sup>

حيث يتولى المعلم مسؤولية تنفيذ هذه الأهداف التعليمية من خلال الدور الفاعل الذي ينبغي أن يقوم به في الموقف الصفّي، بما يساعد على تعزيز المواطنة لدى الطلبة، وأشارت عديد من الدراسات إلى وجود فجوة في دور المعلم في التربية المواطنة، إذ أكدت دراسة الغافري، والسعيد، والحامدي (2014) على دور متوسط للمعلم في التربية المواطنة، كما أكدت دراسة المعمرى، والمسروري (2016) على دور متوسط للمعلم في تعزيز أبعاد المواطنة من وجهة نظر الطلبة، وأشارت هذه الدراسات إلى ضعف دور المعلم في التربية المواطنة، مما يعطي دلالة على أن هناك فجوة تتعلق بأداء المعلمين في تعزيز التربية المواطنة.

وقد لاحظ الباحث من خلال خبرته الإشرافية والتدريبية وجود إشكالية في دور المعلمين في تعزيز التربية المواطنة في الموقف الصفّي، لذا جاءت هذه الدراسة لقياس دور المعلمين في تعزيز أبعاد التربية المواطنة لدى طلبة التعليم الأساسي.

## أسئلة الدراسة :

التربية المواطنة من أساسيات أي نظام تعليمي، لأنها تهدف في الأساس لإيجاد المواطن القادر على تحمل المسؤولية تجاه وطنه والمبادر في المشاركة الاجتماعية والسياسية، فهي تخاطب عقل الإنسان المواطن، لتمده بالمعارف والمعلومات عن وطنه وتاريخه، ويتعرف على حقوقه وواجباته الوطنية، ومن أجل تحقيق الأهداف التربوية في بناء المواطنة المسؤولة، تأتي هذه الدراسة لقياس دور مُعلّمي الدراسات الاجتماعية في تعزيز أبعاد التربية المواطنة لدى طلبة التعليم الأساسي، وذلك من خلال الإجابة على السؤال الآتي:

<sup>1</sup> - مجلس التعليم. (2017). فلسفة التعليم في سلطنة عُمان. مسقط. <http://www.educouncil.gov.om>

ما دور معلمي الدراسات الاجتماعية في تعزيز أبعاد التربية المواطنة لدى طلبة التعليم الأساسي بسلطنة

عمان؟

أهداف الدراسة:

هدفت الدراسة الحالية إلى تحقيق ما يلي:

1. تقصي دور مُعلمي الدراسات الاجتماعية في تعزيز أبعاد التربية المواطنة لدى طلبة التعليم الأساسي.

2. الكشف عن أثر دور مُعلمي الدراسات الاجتماعية في تعزيز أبعاد التربية المواطنة على معرفة الطلبة

بالمواطنة.

أهمية الدراسة:

تتمثل الأهمية النظرية للدراسة في ضوء توجهات رؤية عمان 2040، الهادفة في محور الانسان والمجتمع إلى التأكيد على تعزيز الهوية والمواطنة في نفوس النشء، كما تهدف الدراسة إلى تقديم رؤى فكرية عن واقع التربية المواطنة في المدرسة العمانية.

في حين تتمثل الأهمية التطبيقية في إعداد أداة المقابلة، والتي من المتوقع أن تقدم نتائج دقيقة عن دور معلمي الدراسات الاجتماعية في تعزيز أبعاد التربية المواطنة، كما قد تفيد الدراسة مراكز التدريب أثناء الخدمة لتقديم برامج تدريبية للمعلمين.

حدود الدراسة :

الحدود الموضوعية: تعزيز أبعاد التربية المواطنة لدى الطلبة.

الحدود الزمانية: طبقت الدراسة خلال العام الدراسي (2022/2023).

الحدود البشرية: ركزت الدراسة على معلمي الدراسات الاجتماعية.

الحدود المكانية: طبقت الدراسة على مدراس التعليم الأساسي في محافظات مسقط، وشمال الباطنة،

وجنوب الباطنة.

## المصطلحات :

التربية المواطنة: يعرفها فريحة (2012) بأنها: "عملية تربية هادفة، وغير ممثلة بمادة دراسية واحدة كونها تهتم تنشئة الطالب-المواطن، وتشكيل شخصيته المعرفية، الأخلاقية، الاجتماعية والوطنية".

ويعرفها الباحث بأنها "نشاط تربوي مخطط له يبذل من أجل تربية النشء على مجموعة من المعارف والمهارات والاتجاهات والقيم بما يساهم في خلق المواطنة الفاعلة لدى الطلبة، ويساعد على تشكيلهم وفقاً لاتجاهات وسياسية التعليم".

أبعاد التربية المواطنة: التعريف الإجرائي لأبعاد المواطنة: هي مجموعة من المعايير السلوكية التي ينبغي أن يتمسك بها المواطن وتتمثل في ستة معايير هي (الحقوق، الواجبات، الهوية الوطنية، المشاركة المجتمعية، المعرفة المتعلقة بالمواطنة، والمواطنة العالمية والرقمية) ويتم قياسها بأداة المقابلة.

معلمي مادة الدراسات الاجتماعية: يُقصد بهم في هذه الدراسة الموظفون الذين يعملون بالمدارس ويمارسون مهنة معلم مادة الدراسات الاجتماعية، تخصصي الجغرافيا، والتاريخ، العاملون في مدارس التعليم الأساسي.

## الدراسات السابقة :

أجريت العديد من الدراسات البحثية عن التربية المواطنة من بينها دراسة العنزي (2023)<sup>1</sup> التي هدفت إلى التعرف على درجة ممارسة معلمات الدراسات الاجتماعية والوطنية قيم النزاهة في المرحلة الثانوية بالمملكة العربية السعودية، واعتمد البحث على المنهج الوصفي، وأظهرت النتائج أن ممارسة معلمات الدراسات الاجتماعية والوطنية قيم النزاهة في المرحلة الثانوية بالمملكة العربية السعودية جاءت بدرجة مرتفعة، وحصل المحور الثالث المتعلق بقيم النزاهة الاجتماعية على المرتبة الأولى، يليه المحور الأول المتعلق بقيم النزاهة الشخصية في المرتبة الثانية، وحصل المحور الثاني المتعلق بالنزاهة المهنية على المرتبة الثالثة.

<sup>1</sup> العنزي، تغريد بنت ضاوي شمروخ. (2023). درجة ممارسة معلمات الدراسات الاجتماعية والوطنية قيم النزاهة في المرحلة الثانوية بالمملكة العربية السعودية كتاب أبحاث المؤتمر الدولي الثالث للتعليم في الوطن العربي : مشكلات وحلول.

كما هدفت دراسة النملة (2022)<sup>1</sup> إلى التعرف على دور معلمات التربية الأسرية في تعزيز مفاهيم المواطنة الرقمية لدى طالبات المرحلة المتوسطة بمدينة الرياض، ولتحقيق الهدف اتبع البحث المنهج الوصفي. وأظهرت النتائج أن دور معلمات التربية الأسرية في تعزيز مفاهيم المواطنة الرقمية لدى طالبات المرحلة المتوسطة بمدينة الرياض بدرجة عالية جداً، واحتلت مفاهيم الوعي بالسلوك الرقمي ومفاهيم الحقوق والمسؤوليات الرقمية والصحة والسلامة الرقمية درجة عالية جداً، كما جاءت نتائج مفهوم التجارة الرقمية بدرجة عالية، وأشارت النتائج إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في استجابات أفراد عينة البحث حول دور معلمات التربية الأسرية في تعزيز مفاهيم المواطنة الرقمية لدى الطالبات تبعاً لمتغير الخبرات التدريسية والدورات التدريبية.

في حين هدفت دراسة الأسمرى (2021)<sup>2</sup> إلى التعرف على درجة ترسيخ قيم المواطنة والسلام المجتمعي لدى معلمي الدراسات الاجتماعية والوطنية والتربية الفنية من خلال التدريس لدى طلاب المرحلة المتوسطة من وجهة نظرهم، وتوصل البحث إلى عدة نتائج كان أهمها: "درجة ترسيخ قيم المواطنة والسلام المجتمعي من قبل معلمي الدراسات الاجتماعية والوطنية والتربية الفنية من خلال التدريس لدى طلاب المرحلة المتوسطة" كانت متوسطة على الدرجة الكلية، وجاء "ترسيخ قيم المسؤولية الاجتماعية" في المرتبة الأولى، وجاء في المركز الثاني «ترسيخ قيم حرية التعبير عن الرأي». و"ترسيخ قيم المشاركة المجتمعية" في المرتبة الثالثة، و"ترسيخ قيم السلام المجتمعي" في المرتبة الرابعة، مع عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين وجهة نظر أفراد العينة حول محاور الاستبيان ومجموع درجاته، وذلك فيما يتعلق بمتغيرات (الجنس - سنوات الخبرة - عدد الدورات التدريبية).

وهدفت دراسة الفريجات (2021)<sup>3</sup> إلى التعرف على درجة ممارسة معلمي التربية الإسلامية لقيم المواطنة في التفاعل الصفّي للمرحلة الثانوية، وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي، وقد أشارت النتائج إلى مستوى (مرتفع) درجة ممارسة معلمي التربية الإسلامية لقيم المواطنة في التفاعل الصفّي للمرحلة الثانوية، وجاء

<sup>1</sup> - النملة، مها بنت علي بن عبد الله. (2022). دور معلمات التربية الأسرية في تعزيز مفاهيم المواطنة الرقمية لدى طالبات المرحلة المتوسطة بمدينة الرياض، المجلة الدولية للدراسات التربوية والنفسية، 11 (2).

<sup>2</sup> - الأسمرى، فايز بن علي عبد الرحمن آل صالح. (2021). درجة ترسيخ معلمي الدراسات الاجتماعية والوطنية والتربية الفنية لقيم المواطنة والسلام المجتمعي من خلال التدريس لطالب المرحلة المتوسطة من وجهة نظرهم. مجلة العلوم التربوية. 1 (29).

<sup>3</sup> - الفريجات، صباح محمود عبد الرحمن. (2021). درجة ممارسة معلمي التربية الإسلامية لقيم المواطنة في التفاعل الصفّي للمرحلة الثانوية. المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية. 3 (10).

المجال (الشعور بالمسؤولية الأخلاقية الدينية نحو المجتمع) بالمرتبة الأولى بدرجة مرتفعة، يليه المجال (المسؤولية الاجتماعية تجاه المجتمع) بالمرتبة الثانية بدرجة مرتفعة، يليه المجال (الولاء والانتماء للوطن) بالمرتبة الثالثة بدرجة مرتفعة، وكذلك أشارت النتائج إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى إلى متغيري المؤهل العلمي وسنوات الخبرة في درجة ممارسة معلمي التربية الإسلامية لقيم المواطنة في التفاعل الصفّي للمرحلة الثانوية.

وأجرى أحمد (2021)<sup>1</sup> دراسة هدفت إلى التعرف على درجة ممارسة معلم مادة التنشئة الاجتماعية والوطنية لدوره في تنمية قيم المواطنة الرقمية، وتعزيز القيم الحضارية لدى الطلبة، وتوصلت الدراسة للعديد من النتائج كان من أهمها ضرورة تضمين مناهج التنشئة الاجتماعية والوطنية للمفاهيم التي تنمي قيم المواطنة الرقمية، وتعزيز القيم الحضارية لدى الطلبة، وفي النهاية أوصت الدراسة بضرورة توجيه أنظار مخططي المناهج إلى وضع خطة واضحة لتدريب المتعلمين على مهارات وقيم المواطنة الرقمية، والقيم الحضارية، بالإضافة إلى الاهتمام بتطوير كتب المناهج.

وركزت دراسة محمد (2021)<sup>2</sup> على التعرف على مفهوم التربية من أجل المواطنة العالمية، وأهم متطلبات تعزيزها لدى الطلبة، والتعرف أيضا على أهم المتغيرات المعاصرة وعلاقتها بالمواطنة العالمية، واعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، وأوصى البحث بضرورة الاهتمام بتضمين التربية من أجل المواطنة العالمية والمواطنة العالمية بالمناهج والمقررات الدراسية، وتفعيل دور الأنشطة الطلبة والاهتمام بتوفير بيئة تعليمية أكثر أمانا وتنمي قيم السلام، والحوار البناء، والنقد العلمي، والاهتمام ببرامج إعداد المعلم قبل وأثناء الخدمة.

وأجرى الخريشا (2020)<sup>3</sup> دراسة هدفت إلى التعرف على دور معلمي الاجتماعيات في تنمية قيم المواطنة لدى طلبة المرحلة الثانوية في محافظة الأحمدية بدولة الكويت من وجهة نظر الطلبة، وتوصلت الدراسة إلى أن درجة الموافقة على دور معلمي الاجتماعيات في تنمية قيم المواطنة لدى الطلبة المذكورين من وجهة نظرهم جاءت مرتفعة، وأظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية في استجابات الطلبة نحو دور معلمي

<sup>1</sup> - أحمد، فداء حسن الشيخ. (2021) دور معلمي مواد التنشئة الاجتماعية والوطنية في تنمية قيم المواطنة الرقمية لتعزيز القيم الحضارية لدى طلبتهم في المدرسة. مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث 1 (1).

<sup>2</sup> - محمد، سيدة سلامة. (2021). دور المدرسة في تعزيز التربية من أجل المواطنة العالمية لدى طلابها على ضوء بعض المتغيرات المعاصرة: دراسة تحليلية. مجلة البحث العلمي في التربية. 4 (22).

<sup>3</sup> - الخريشا، ملوح باجي. (2020). دور معلمي الاجتماعيات في تنمية قيم المواطنة لدى طلبة المرحلة الثانوية في محافظة الأحمدية بدولة الكويت من وجهة نظر الطلبة. المجلة الدولية للدراسات التربوية والنفسية. 8 (2).

الاجتماعيات في تنمية قيم المواطنة لدى الطلبة تعزى لكل من متغيرات: الجنس لصالح الإناث، والصف لصالح الصف الأعلى، والجنسية لصالح الكويتيين، بينما لم تظهر فروقا تعزى لمتغير التخصص.

وهدفت دراسة بن عمارة (2020)<sup>1</sup> إلى معرفة دور المعلم في تنمية الشعور بالمواطنة لدى تلاميذ الابتدائي من خلال الأنشطة اللاصفية، إذ اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، وأسفرت النتائج المتوصل إليها أن الاستراتيجيات المعرفية هي أكثر الاستراتيجيات استخدمت من طرف معلمي ولاية ورقلة بالجزائر، ثم تلتها ممارسة الاستراتيجيات المهارية، فالاستراتيجيات الوجدانية.

وركزت دراسة المهيرات (2020)<sup>2</sup> على الكشف عن دور معلمي التربية الوطنية والمدنية في تعزيز قيم المواطنة الرقمية لدى طلبتهم من وجهة نظر المعلمين، وأظهرت النتائج أن دور معلمي التربية الوطنية والمدنية في تعزيز قيم المواطنة الرقمية لدى طلبتهم من وجهة نظر المعلمين جاء بدرجة متوسطة على الأداة ككل، واحتل المجال الاجتماعي الرتبة الأولى بدرجة مرتفعة، بينما حصل المجال الأخلاقي على الرتبة الثانية بدرجة متوسطة، واحتل المجال التكنولوجي الرتبة الثالثة بدرجة متوسطة، كما أشارت النتائج إلى عدم وجود فروق دالة إحصائية تخص دور معلمي التربية الوطنية في تعزيز قيم المواطنة الرقمية لدى طلبتهم من وجهة نظر المعلمين تبعاً لمتغيرات الجنس والخدمة التعليمية ودرجة استخدام الإنترنت.

وسعى البدوي (2020)<sup>3</sup> إلى وضع رؤية مقترحة لدور معلمي مدارس التعليم العام بمدينة أمها الحضرية في تحقيق أبعاد المواطنة الرقمية (التمكين الرقمي، التواصل الرقمي، الأمن الرقمي، والصحة والسلامة الرقمية) لطلابها، واستخدم البحث المنهج الوصفي والاستبانة، وأسفر البحث عن وضع الرؤية المقترحة، وموافقة أفراد عينة البحث حول أهمية دور المعلم في تحقيق أبعاد المواطنة الرقمية (التمكين الرقمي، التواصل الرقمي، الأمن الرقمي، والصحة والسلامة الرقمية) لطلابها بدرجة "كبيرة"، وعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في استجابات أفراد عينة البحث حول دور المعلم في تحقيق أبعاد (التمكين الرقمي، التواصل الرقمي، والأمن الرقمي) للمواطنة الرقمية للطلبة تعزى لمتغير الوظيفة الحالية، والمرحلة التعليمية، ووجود فروق ذات دلالة

<sup>1</sup>- بن عمارة، سميرة. (2020). دور المعلم في تنمية قيم المواطنة لدى تلاميذه من خلال النشاطات اللاصفية: دراسة تحليلية على عينة من معلمي المدارس الابتدائية بولاية ورقلة، الجزائر. مجلة تنمية الموارد البشرية. 11 (3).

<sup>2</sup>- المهيرات، نورا توفيق. (2020). دور معلمي التربية الوطنية والمدنية في تعزيز قيم المواطنة الرقمية لدى طلبتهم من وجهة نظر المعلمين. مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية. 28 (4).

<sup>3</sup>- البدوي، أمل محمد حسن. (2020). دور معلمي مدارس التعليم العام بمدينة أمها الحضرية في تحقيق المواطنة الرقمية لطلابها: رؤية مقترحة. مجلة تطوير الأداء الجامعي. 11 (1).

إحصائية بين استجابات أفراد عينة البحث حول المحور الرابع المتعلق بدور المعلم في تحقيق بعد (الصحة والسلامة الرقمية) للمواطنة الرقمية للطلبة تعزى لمتغير الوظيفة الحالية بين فئة القائد والمشرف، وفئة المعلم والمشرف.

هدفت دراسة السعيد (2019)<sup>1</sup> إلى التعرف على دور مديري المدارس في التربية على المواطنة بمدارس التعليم الأساسي بسلطنة عُمان من وجهة نظرهم، ولتحقيق أهداف الدراسة استخدم الباحث المنهج الوصفي، وأظهرت نتائج الدراسة أن دور مديري المدارس في التربية على المواطنة بمدارس التعليم الأساسي بسلطنة عُمان من وجهة نظرهم بمستوى غالباً، كما أشارت النتائج إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث، كما أنها أظهرت عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين المراحل التدريسية، كما أظهرت النتائج عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في متغير المؤهل العلمي.

#### التعليق على الدراسات السابقة :

من خلال الاطلاع على الدراسات السابقة يلاحظ أنها أكدت على أهمية دور المعلم في تعزيز التربية المواطنة لدى الطلبة ومنها دراسة (العزوي، 2023)، ودراسة (الفريجات، 2021)، في كشفت نتائج بعض الدراسات على أدوار متوسطة للمعلمين في التربية المواطنة ومنها دراسة (دراسة الأسمري، 2021)، ودراسة (المهيرات 2020)، وتتفق الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة في موضوعها وعينتها، ولكنها تتميز عنها بأنها استخدمت المنهج النوعي وهو من المناهج التي تقدم نتائج أكثر دقة في قياس مشكلة الدراسة، من خلال مقابلة عينة الدراسة الطلبة بهدف قياس دور معلمي الدراسات الاجتماعية في تعزيز التربية المواطنة.

#### المنهجية والإجراءات :

منهج الدراسة: اعتمد الباحث في الدراسة على المنهج الوصفي النوعي، وهو المنهج العلمي المناسب لهذا النوع من الدراسات البحثية، والذي يقوم على دراسة الواقع أو الظاهرة من خلال وصفها وصفاً دقيقاً، بهدف

<sup>1</sup>- السعيد، حميد بن مسلم. (2019). دور مديري المدارس في التربية على المواطنة بمدارس التعليم الأساسي بسلطنة عمان. المجلة التربوية لكلية التربية بجامعة سوهاج. (67).

قياس دور معلمي الدراسات الاجتماعية في توظيف التربية المواطنة من وجهة نظر الطلبة.

### مجتمع الدراسة :

تألف مجتمع الدراسة من جميع الطلبة لمرحلة التعليم الأساسي الحلقة الثانية (5-9)، ومرحلة التعليم ما بعد الأساسي (10-12)، في المدارس الحكومية بمحافظة مسقط، ومحافظة شمال الباطنة، وجنوب الباطنة، بسلطنة عُمان للعام الدراسي (2022/2023)، والبالغ عددهم (132732) طالبًا وطالبة.

### عينة الدراسة :

تكونت عينة الدراسة من (32) طالباً وطالبة، في مدراس التعليم الأساسي في المدارس الحكومية في محافظة مسقط، ومحافظة شمال الباطنة، وجنوب الباطنة، ويعتبر حجم العينة مناسباً لطبيعة الدراسة وأدائها المعتمدة على المقابلة، وتم اختيارهم بالطريقة العشوائية، وتم تسجيل المقابلات مع أفراد العينة بعد أخذ الموافقة على ذلك، ونظراً لعدم الحاجة إلى الإفصاح عن أسماء أفراد العينة، فقد تم الإشارة إليهم برمز (ط) والرقم الدال على المقابلة.

### الجدول 1: بيانات أفراد عينة المقابلة

م	الرمز	الجنس	المدرسة	الصف
1.	ط1	أثني	الريستاق للتعليم الأساسي	السابع
2.	ط2	ذكر	الشيخ أبو القحطان	العاشر
3.	ط3	أثني	حليمة السعدي	الحادي عشر
4.	ط4	أثني	صحف للتعليم ما بعد الأساسي	الحادي عشر
5.	ط5	أثني	الطاهرة	السادس
6.	ط6	أثني	هاجر أم أسماعيل	الثامن
7.	ط7	ذكر	حمود بن أحمد البوسعيدي	السابع
8.	ط8	ذكر	عبد الله بن العباس	الحادي عشر
9.	ط9	ذكر	عبد الله بن العباس	الحادي عشر
10.	ط10	ذكر	جميل بن خميس السعدي	الحادي عشر
11.	ط11	ذكر	جميل بن خميس السعدي	الحادي عشر
12.	ط12	أثني	قباة للتعليم الساسي	الثامن
13.	ط13	أثني	قباة للتعليم الساسي	الثامن

الحادي عشر	أسماء بنت عمرو	أنثى	ط14	.14
الحادي عشر	أبو طلحة الأنصاري	ذكر	ط15	.15
الحادي عشر	أبو طلحة الأنصاري	ذكر	ط16	.16
العاشر	مريم بنت عمران	أنثى	ط17	.17
العاشر	مريم بنت عمران	أنثى	ط18	.18
الثامن	السويق للتعليم الأساسي	ذكر	ط19	.19
الحادي عشر	حليمة السعدي	أنثى	ط20	.20
التاسع	الوفاء للتعليم الأساسي	أنثى	ط21	.21
الحادي عشر	حليمة السعدي	أنثى	ط22	.22
التاسع	الوفاء للتعليم الأساسي	أنثى	ط23	.23
السابع	العصماء بنت الحارث	أنثى	ط24	.24
السابع	العصماء بنت الحارث	أنثى	ط25	.25
التاسع	الصفاء للتعلم الأساسي	أنثى	ط26	.26
التاسع	الصفاء للتعلم الأساسي	أنثى	ط27	.27
التاسع	عاتكة بنت زيد للتعليم الأساسي	أنثى	ط28	.28
التاسع	عاتكة بنت زيد للتعليم الأساسي	أنثى	ط29	.29
التاسع	عاتكة بنت زيد للتعليم الأساسي	أنثى	ط30	.30
السادس	زينب الثقفية	أنثى	ط31	.31
التاسع	عاتكة بنت زيد للتعليم الأساسي	أنثى	ط32	.32

## \*الرمز (ط) يدل إلى الطالب

## أداة الدراسة :

لتحقيق أهداف الدراسة قام الباحث بإعداد أداة المقابلة للتعرف على دور المعلمين في التربية المواطنة من وجهة نظر الطلبة، من خلال قياس ما يمتلكه الطلبة من معارف واتجاهات تعكس مدى فاعلية المعلمين في القيام بأدوارهم، وقام الباحث بتطبيق أداة المقابلة على الطلبة، وتستمر المقابلة لمدة (20) دقيقة، وتكونت المقابلة في صورتها النهائية من (24) سؤال موزعة على ستة أبعاد، هي: المعرفة المتعلقة بالمواطنة، الحقوق، الواجبات، الهوية الوطنية، الشراكة المجتمعية، والمواطنة العالمية والرقمية.

تتضمن أداة المقابلة قسمين:

القسم الأول: اشتمل على البيانات الشخصية الخاصة بالطلبة الذين تمت مقابلتهم.

القسم الثاني: اشتمل على ستة أبعاد للتربية المواطنة، تضمن (24) سؤالاً.

صدق الأداة:

تم التحقق من الصدق الظاهري للأداة من خلال عرضها على مجموعة من المحكمين (7) ، من أعضاء الهيئات التدريسية بالجامعات المختصين في مجال المواطنة، المناهج وطرق التدريس، حيث طلب الباحث إبداء آرائهم وملاحظاتهم حول السلامة العلمية واللغوية، وبناء على ملاحظاتهم، أعد الباحث الأداة في صورتها النهائية.

ثبات الأداة:

قام الباحث بقياس ثبات الأداة من خلال تطبيقها على أفراد من خارج عينة الدراسة، من أجل التعرف على وضوح الأسئلة، وعدم غموضها، والوقت المناسب للتطبيق، وكذا التدريب على كيفية إجرائها.

إجراءات تطبيق الدراسة:

بعد تحديد مشكلة الدراسة، أسئلتها ومتغيراتها، وبعد الانتهاء من إعداد أداة الدراسة، والتأكد من صدقها وثباتها، طبق الباحث الأداة على عينة الدراسة في الفصل الدراسي الأول (2022/2023).

المعالجة الإحصائية:

استخدم الباحث الأسلوب الاستقرائي في تحليل مقابلات الطلبة الذي يتبع نظام الترميز وتحديد الفئات والجمال التي تشكل بعضها مجموعات (Categories)، تأتي عملية تنظيم وإدارة البيانات في المرحلة الأولى من مراحل عملية التحليل، إذ يمكن الباحث من بداية البحث أن يقوم بتنظيم بيانات الدراسة في ملفات عن طريق الكمبيوتر قد تكون على شكل (كلمات، جمل، قصص) وفقاً لما يخدم الباحث<sup>1</sup>، وتم تحليل البيانات باتباع الخطوات الآتية:

<sup>1</sup>- كرسول، جون. (2018). تصميم البحوث، الكمية، النوعية، المزجبة (ترجمة القحطاني، عبدالمحسن). دار المسيلة للنشر والتوزيع.

1. تنظيم البيانات: عملية تنظيم وإدارة البيانات في المرحلة الأولى من مراحل عملية التحليل، وتتم وفق الآتي:

- تصميم استمارة مصفوفة إدخال البيانات.

- إدخال البيانات والمعلومات الأساسية من المقابلة في المصفوفة.

- تفرغ المقابلات المسجلة صوتياً على أوراق، بحيث تكون كل مقابلة على حدى.

- النظر إلى إجابة أسئلة المقابلة لكل المقابلات بدءاً بأول مقابلة، حتى آخر مقابلة.

- بعد الانتهاء من قراءة الإجابات، تم استخدام أسلوب الترميز لكل الطلبة.

2. الترميز: يتم في هذه المرحلة استخدام كلمات أو جمل أو مفردات تدل على معنى معروف لدى الباحث.

- تركيز الباحث على الأفكار، والمفاهيم التي تشير إلى دور معلمي الدراسات الاجتماعية في تعزيز التربية المواطنة.

- إعطاء لون كل الاستجابات المتشابهة، والتي وردت بشكل متكرر مع أفراد عينة الدراسة.

3. التصنيف: يتم في هذه المرحلة:

- تصنيف البيانات حسب تكرارها، وحساب النسبة المئوية لها من بين أفراد العينة.

- التعرف على كل استجابة ذكرت من قبل أفراد عينة الدراسة، وإجراء الترتيب المناسب لها في عرض النتائج.

معيار الحكم على النتائج: للحكم على أبعاد الدراسة الخمسة ولتوفير مقارنات بين الاستجابات المتعلقة

بدرجة وعي معلمي الاجتماعية لأبعاد المواطنة وفاعلية أدائهم بالتربية المواطنة بالممارسات التدريسية،

استخدم الباحث الحدود الفعلية للفئات كمعيار للحكم على نتائج محاور الدراسة، كما هو واضح في الجدول

(2).

الجدول 2: الحدود الفعلية للفئات بناءً على التدرج المستخدم في أدوات الدراسة

الدرجة	الفئات	النسبة المئوية	المعيار المستخدم
3	5 – 3.34	100 - %67	مرتفع
2	3.34 – 1.67	%67 - %33	متوسط
1	1.67 – 0	%33 – 0	منخفض

عرض النتائج ومناقشتها:

نتائج السؤال الأول:

للإجابة عن هذا السؤال ونصه: ما دور مُعلمي الدراسات الاجتماعية في تعزيز أبعاد التربية المواطنة لدى طلبة التعليم الأساسي بسلطنة عمان؟

تم استخراج التكرارات للمفردات والنسبة المئوية، لجميع أبعاد التربية المواطنة في أداة المقابلة، والنسبة العامة حيث تم ترتيبها ترتيباً تنازلياً كما هو واضح في الجدول (3).

الجدول 3: التكرارات والنسبة المئوية والأهمية النسبية (الرتبة) للأبعاد التربوية المواطنة

م	العبارات	النسبة المئوية	المستوى
1	الواجبات	92%	مرتفع
2	المعرفة المتعلقة بالمواطنة	82%	مرتفع
3	الهوية الوطنية	61%	متوسط
4	الشراكة المجتمعية	55%	متوسط
5	الحقوق	41%	متوسط
6	المواطنة العالمية والرقمية	35%	منخفض
	متوسط النسبة العامة	61%	متوسط

تشير النتائج في الجدول (3) أن مستوى معلمي الدراسات الاجتماعية في تعزيز أبعاد التربية المواطنة لدى طلبة التعليم الأساسي في سلطنة عمان جاء متوسطاً، فقد بلغت النسبة المئوية للأبعاد (61%).

كما يتبين من الجدول أن النسبة المئوية للتكرارات لكل بُعد من أبعاد التربية المواطنة فقد تراوحت بين (92%-35%) أي بين المستوى المرتفع والمتوسط، وكانت الأكثر فاعلية بُعد "الواجبات" بنسبة مئوية للتكرارات (92%) بمستوى مرتفع، في حين جاء في المرتبة الثانية بُعد "المعرفة المتعلقة بالمواطنة" بنسبة مئوية للتكرارات (82%) بمستوى مرتفع، وجاء في المرتبة الثالثة بُعد "الهوية الوطنية" بنسبة مئوية للتكرارات (61%) بمستوى متوسط، في حين جاء في المرتبة الرابعة بُعد "الشراكة المجتمعية" بنسبة مئوية للتكرارات (55%) بمستوى متوسط، وفي المرتبة الخامسة بُعد "الحقوق" بنسبة مئوية للتكرارات (41%) بمستوى متوسط، في حين جاء في أدنى الأبعاد بُعد "المواطنة العالمية والرقمية" بنسبة مئوية للتكرارات (35%) بمستوى منخفض.

وتتفق هذه النتيجة مع ما توصلت إليه دراسات: الأسمري (2021)، عمر (2019)، والسعيد (2018)، وتختلف هذه النتيجة مع ما توصلت إليه دراسات: العنزي (2023)، النملة (2022)، الفريجات (2021)، الخريشا (2020)، المهيرات (2020)، والسعيد (2019).

وتعزى هذه النتيجة إلى أن المناهج الدراسية لم تتضمن نصاً للأبعاد المواطنة، إلى جانب افتقار المعرفة لدى المعلمين عن التربية المواطنة وهذا ما أشار إليه (السعيد، 2022)<sup>1</sup>، عن افتقار مقررات برامج إعداد المعلمين لمقررات التربية المواطنة، مما أفقد المعلمين المعرفة بالتربية المواطنة مما أثر على أدائهم في الممارسات التدريسية، وافتقاد المعلمين لهذا الدور يعود إلى قلة البرامج التدريبية التي تركز على التربية المواطنة، مما أوجد فجوة في الأداء بين الجانب التنظيري والواقع الذي يحدث في الممارسات التدريسية والتي افتقرت إلى تعزيز القيم الوطنية في نفوس النش.

أما عما أظهرته نتائج الدراسة حول كل بُعد من أبعاد التربية المواطنة فقد جاءت التكرارات والنسب المئوية، والأهمية النسبية (الرتبة) للعبارات المكونة لكل بُعد كما يلي:

#### البُعد الأول: المعرفة المتعلقة بالمواطنة:

تشير النتائج أن مستوى معلمي الدراسات الاجتماعية في تعزيز أبعاد التربية المواطنة في بُعد المعرفة المتعلقة بالمواطنة جاء مرتفعاً، فقد بلغت النسبة المئوية للتكرارات (82%)، إذ كانت معظم استجابات عينة الدراسة إجابات صحيحة حول المعرفة المتعلقة بالمواطنة، فقد ذكر (ط 1) "بمعرفتها برموز الدولة، وأنها تشكل أهمية كبيرة لها، كما أنها مرتبطة بالتراث العُماني والموروث الحضاري العُماني" وأشار المستجيب (ط4) على "أهمية المحافظة على البيئة العُمانية وأنها جزء من الانتماء الوطني، فأنا لا أود أن أؤذي وطني وأن يكون نظيفاً".

كما يتبين أن النسبة المئوية للتكرارات لكل مفردات البُعد الأول المعرفة المتعلقة بالمواطنة قد تراوحت بين (100%-62%)، أي بين المستوى المرتفع والمتوسط، وكانت الأكثر فاعلية عبارة "المعرفة بالرموز الأساسية للدولة" بنسبة مئوية للتكرارات (100%) بمستوى مرتفع، فقد اتضح من المقابلات المعرفة المرتفعة في

<sup>1</sup> - السعيد، حميد مسلم؛ الحضرمي، أحمد سعيد؛ البلوشي، فهد عبد الله. (2022). درجة معرفة معلمي الدراسات الاجتماعية بالتربية المواطنة في مدارس التعليم الأساسي بسلطنة عمان. مجلة كلية التربية للبنات، جامعة بغداد.

استجابات عينة الدراسة، فيؤكد المستجيب (ط3) على أن "النظام الساسي للدولة يمثل لنا أهمية في معرفة حقوقنا وواجباتنا تجاه المجتمع"، في حين أشار البعض عدم معرفته بالنظام الأساسي للدولة، فقد أشار المستجيب (ط2) "بأنه لا يعرف شيئاً عن النظام الأساسي للدولة".

وتتفق هذه النتيجة مع ما توصلت إليه دراسات: العنزي (2023)، النملة (2022)، الفريجات (2021)، الخريشا (2020)، المهيرات (2020)، والسعيد (2019).

وتختلف هذه النتيجة مع ما توصلت إليه دراسات: الأسمرى (2021)، عمر (2019) والسعيد (2018)، وتعزى هذه النتيجة إلى أن مضامين المناهج الدراسية قد تضمنت كافة الجوانب المتعلقة بالمعرفة الوطنية، لذا من الطبيعي أن يكون لدى الطلبة معرفة مرتفعة بما يتعلق بوطنهم، مما عزز من دور المعلمين في تنمية المعارف الوطنية من خلال ما يمتلكه المعلمون من تمكن في المادة العلمية وخاصة أن جل الدراسات الاجتماعية تأخذ البُعد الوطني والقيمي والمجتمعي في المحتوى المعرفي.

#### البُعد الثاني: الحقوق

تشير النتائج أن مستوى معلمي الدراسات الاجتماعية في تعزيز أبعاد التربية الوطنية في بُعد الحقوق جاء متوسطاً، حيث بلغت النسبة المئوية للتكرارات (41%)، فقد أظهرت هذه النتائج أن الطلبة لا يمتلكون المعرفة الجيدة بشأن العديد من الجوانب المتعلقة بالحقوق، حتى أن القوانين والأنظمة المتعلقة بالمدرسة لا يعرفونها، فقد أكد المستجيب (ط8) بأنه "لا يعرف الأنظمة والقوانين بالمدرسة ولا بالمجتمع، ولكن عندما يقوم بمخالفة ما، يعرف بعض القوانين عندما تطبق عليه"، كما أكد المستجيب (ط2) بأنه "نادراً يتاح لهم مناقشة القضايا والمشكلات داخل الصف"، في حين أشار المستجيب (ط20) "أن التعبير عن الرأي صعب جداً ولا توجد وسائل أو آليات للسماح للطلبة لنقد المدرسة أو الصف، أو ذكر بعض الجوانب السلبية التي نرى أنها لا تناسبنا".

كما يتبين أن النسبة المئوية للتكرارات لكل مفردات البُعد الثاني الحقوق تراوحت بين (69%- 12%)، أي بين المستوى المرتفع والمتوسط، وكانت الأكثر فاعلية عبارة "يُعرفهم بالقوانين والأنظمة داخل المدرسة" بنسبة مئوية للتكرارات (69%) بمستوى مرتفع، وقد أشار بعض الطلبة إلى أن المعلمين يقومون بتعريفهم بالنظام في بداية العام الدراسي، وبعض المعلمين يقوم بتعليق منشورات حول الأنظمة في القاعة الصفية، حيث ذكر المستجيب (ط23) "بأن هناك حصصاً للتوعية تعرفنا بالأنظمة والقوانين"، في حين أشار المستجيب (ط29) "أن المعلمين يقومون بتعريفنا ببعض القوانين من خلال الإذاعة المدرسية".

بينما جاءت عبارة "يعرفهم بالقوانين والأنظمة بالمجتمع" في الأخير، وهذا يدل على أن المعلمين ليس لديهم معرفة كافية بالحقوق والواجبات خاصة ما يتعلق ببيئة المجتمع، وربما لا يجد المعلمون أنفسهم مطالبين بتوضيح هذه القوانين للطلبة، إلى جانب أن مناهج الدراسات الاجتماعية تعاني من قلة في تضمين الحقوق التي ينبغي أن يعرفها الطلبة في المدرسة.

### البُعد الثالث: الواجبات

تشير النتائج أن مستوى معلمي الدراسات الاجتماعية في تعزيز أبعاد التربية الوطنية في بُعد الواجبات جاء مرتفعاً، إذ بلغت النسبة المئوية للتكرارات (92%)، فقد أظهرت النتائج أن لدى الطلبة فهماً واضحاً وسلوكاً جيداً يقومون به من أجل تحقيق الواجبات التي ينبغي أن يقومون بها، فقد كانت نتائج الاستجابات إيجابية لذا كان هذا البعد مرتفعاً، فقد أكد العديد من المستجيبين على أهمية الأدوار التي يقومون بها داخل المدرسة والمجتمع، فقد أشار المستجيب (ط1) بأنه يفخر بنظافته الشخصية، وأن هذه جزء من أدواره، كما أكد على أن المعلم يبذل جهداً في عملية التوجيه والمتابعة والمشاركة أيضاً في المحافظة على الأدوات والأثاث بالصف، بل والمشاركة في إصلاحها مع الطلبة، كما ذكر المستجيب (ط4) بأن "أن المعلم يقوم بدور كبير في توعيتنا بأن ممتلكات القاعة ليست فقط لنا بل لجيل آخر سوف يستخدمها في المستقبل".

كما يتبين أن النسبة المئوية للتكرارات لكل مفردات البُعد الثالث الواجبات فقد تراوحت بين (100%-81%)، أي المستوى المرتفع، وكانت الأكثر فاعلية عبارة "يوجههم للمحافظة على الممتلكات الخاصة" بنسبة مئوية للتكرارات (100%) بمستوى مرتفع، فقد أشار معظم الطلبة إلى أن المعلمين يقومون بدور في عملية المحافظة على الأدوات الخاصة بنا، حيث أفاد المستجيب (ط6) "بأن الممتلكات الخاصة ينبغي أن أحافظ عليها لأنها ملك لي".

وتعزى هذه النتيجة إلى أن المعلمين على معرفة تامة بالواجبات الوطنية والتي ينبغي على كل مواطن القيام بها، مما أسهم في ارتفاع نتائج هذا البُعد لدى الطلبة، إلى جانب أن المناهج الدراسية الاجتماعية تركز على الواجبات الوطنية التي ينبغي أن يقوم بها الفرد تجاه وطنه ومجتمعه.

### البُعد الرابع: الهوية الوطنية

تشير النتائج إلى أن مستوى معلمي الدراسات الاجتماعية في تعزيز أبعاد التربية المواطنة في بُعد الهوية الوطنية جاء متوسطاً، حيث بلغت النسبة المئوية للتكرارات (61%)، حيث يتضح من استجابات عينة الدراسة أن جهود المعلمين وسلوكياتهم تعد متوسطة فيما يتعلق بالعديد من جوانب الهوية الوطنية، إذ أشار المستجيب (ط16) "أن التحدث بالحصة دائماً ما يكون باللغة العامية ولا نركز كثيراً على التحدث باللغة العربية". في حين أكد المستجيب (ط20) "أنه لا تقام بالمدرسة أو الصف أي مناشط أو فعاليات تتمكن من خلالها التعرف على كيفية ممارسة جزء من عاداتنا أو الفعاليات المرتبطة بالموروث الحضاري الإنتاجي".

كما يتبين أن النسبة المئوية للتكرارات لكل مفردات البُعد الرابع الهوية الوطنية تراوحت بين (33%-83%)، أي بين المستوى المرتفع والمنخفض، وكانت الأكثر فاعلية عبارة "يشجعهم على المحافظة على الموروث الحضاري والثقافي (العادات والتقاليد)" بنسبة مئوية للتكرارات (83%) بمستوى مرتفع، فقد أشار العديد من الطلبة بأن الموروث الحضاري العُماني هو جزء من حياتنا ونقوم بذلك بصورة مستمرة، نراه ماثلاً أمامنا في سلوكيات المعلمين، وهذا ما يمثل الشخصية العُمانية، حتى أفاد المستجيب (ط31) "بأن الواجب الوطني يفرض علينا أن نشارك الآخرين بالمجتمع، أو المدرسة، أن العادات والتقاليد العُمانية هو ما يميز الشخصية العُمانية، وأن المعلمين هم النموذج لنا".

مما يعطي دلالة تربوية على أن لدى المعلمين قصوراً في فاعلية أداءهم في الممارسات التدريسية فيما يتعلق بالهوية الوطنية وأساسيات بناءها لدى الطلبة، كما أشار السيد (1991) على أن المعلم يقوم بدور مهم في تنمية التربية المواطنة لدى الطلبة، نظراً للدور الكبير الذي يقوم به في إبراز هذه القيم.

### البُعد الخامس: الشراكة المجتمعية

تشير النتائج أن مستوى معلمي الدراسات الاجتماعية في تعزيز أبعاد التربية المواطنة في بُعد الشراكة المجتمعية جاء متوسطاً، إذ بلغت النسبة المئوية للتكرارات (55%)، وارتبط هذا البُعد بمتغير الجنس، إذ أن معظم الإناث لم يكن لهن ذلك الدور الكبير خاصة ما يتعلق بالمشاركة في الفرق الأهلية أو الأعمال التطوعية، إلا أن المشاركة في الانتخابات المدرسية، والتصويت واختيار الممثلين لهم في المجالس المدرسية كان مرتفعاً، وقد أشارت المستجيبة (ط27) "بأن المعلمات يقمن بدور في تطبيق الانتخابات لاختيار مجلس الصف بصورة ديمقراطية، ولكنها لا تشارك في الفرق الأهلية، وتقدم أعمال تطوعية في إطار المدرسة، أما المجتمع فلا تقوم

بذلك"، في حين أن المستجيب (ط11) أشار إلى أن "المعلمين يقومون بتطبيق نهج الشورى في اختيار مجلس الصف، وأنهم يحثونا على المشاركة في الفرق الأهلية، كما أننا نقوم ببعض الأعمال التطوعية كتنظيف المسجد والطرق، وتوعية المجتمع، والمشاركة في تنظيم حفلات الزواج الجماعية التي تقام على مستوى القرية"، وهذا ما أكدته المستجيب (ط9) أن "المعلمين يطبقون الشورى في اختيار مجلس الصف، وأنه يدعونا للمشاركة في الفرق الأهلية، ومساعدة الآخرين عند الحاجة".

كما يتبين أن النسبة المئوية للتكرارات لكل مفردات البُعد الخامس المشاركة تراوحت بين (84%-28%)، أي بين المستوى المرتفع والمنخفض، وكانت الأكثر فاعلية عبارة "مساعدة الآخرين" بنسبة مئوية للتكرارات (84%) بمستوى مرتفع، إذ تأتي هذه المفردة في مقدمة العبارات نظراً لوجود قناعة كبيرة لدى الطلبة بدورهم في مساعدة الآخرين، فقد أشار المستجيب (ط24) "بأن مساعدة الآخرين سواء بالمدرسة أو المجتمع هو واجب اجتماعي لا بد من القيام به، وأنه من الضروريات في المجتمع، كما أكدت أنه تم اختيار في مجلس الصف بتصويت من الطالبات"، وأكد المستجيب (ط15) بأنه "يشارك في الأعمال داخل المدرسة، مثلاً التنظيف ومساعدة الطلبة وتنظيف المسجد والحارة والشاطئ".

وتعزى هذه النتيجة إلى إدراك المعلمين أهمية المشاركة المجتمعية والأدوار الوطنية التي ينبغي أن يقوموا بها، إلى جانب تأثير الجماعات الطلبة والأنشطة المدرسية، والفعاليات التي تنفذ بالتعاون مع المجتمع في زيادة الوعي تجاه الواجب الوطني في المشاركة المجتمعية والأعمال التطوعية، وهذا ما يؤكده الباحث علي الماجد في كون المعلم يقوم بدوره في تطوير الجوانب التي تعزز الانتماء الوطني لدى الطلبة، وهي المعرفة، القيم، الميول والاتجاهات الوجدانية، المهارات، والمشاركة الاجتماعية، وذلك من خلال تضمينها في الموقف الصفّي، ومن خلال انعكاسها على سلوكه في تعاملاته مع الطلبة.<sup>1</sup>

#### البُعد السادس: المواطنة العالمية والرقمية

تشير النتائج أن مستوى معلمي الدراسات الاجتماعية في تعزيز أبعاد التربية المواطنة في بُعد المواطنة العالمية والرقمية جاء منخفضاً، حيث بلغت النسبة المئوية للتكرارات (35%)، فقد كشفت المعرفة لدى الطلبة وجود ضعف كبير في المعرفة بالعديد من الجوانب المتعلقة بالمواطنة العالمية والرقمية، خاصة ما يتعلق

<sup>1</sup>- الماجد، علي (2009). التأصيل الشرعي لمفهوم المواطنة. ورقة مقدمة لندوة الانتماء في التعليم العام رؤى وتطلعات والمقامة في رحاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الفترة من 1430/3/27.

التعامل مع الإشكاليات الرقمية واستخداماتها، حيث تبين أن هناك معرفة تتعلق بالانتماء للعالم كجزء من حياة الطالب، خاصة بأهمية السلام العالمي، فقد أشار المستجيب (ط6) " أن الإسلام هو مدلول على الرقي الحضاري والديني ويُسهم في تقدم المجتمعات"، ويضيف المستجيب (ط30) " أن الإسلام الأساس في ازدهار الأمم وتقدمها ودونه لن تتقدم الأمة" ويؤكد المستجيب (ط13) على أن "الديمقراطية هي السبيل نحو التعايش وتقدم المجتمعات" ويفيد المستجيب (ط16) " أن المعلمين يناقشون معهم مشكلات البيئة العالمية وأنه ينبغي المساهمة في المحافظة عليها لأننا جزء من هذا العالم".

كما يتبين أن النسبة المئوية للتكرارات لكل مفردات البُعد السادس المواطنة العالمية والرقمية تراوحت بين (9%-100%)، أي بين المستوى المرتفع والمنخفض، وكانت الأكثر فاعلية عبارة "إدراك أهمية السلام العالمي" بنسبة مئوية للتكرارات (100%) بمستوى مرتفع، ويتضح من ذلك مدى إدراك الطلبة لمعنى السلام العالمي الذي يحفظ للجميع حياة مستقرة وأمنه، فقد أشار المستجيب (ط20) "إذا قلت الحروب والمشاكل الدولية وعم الأمن والسلام في العالم نعيش بسعادة وفرح".

وتعزى هذه النتيجة إلى تأثير الفكر العالمي والعولمة العالمية وما يرافقها من توجهات تؤمن نحو تحقيق السلام العالمي، وتعزى هذه النتيجة إلى عدم معرفة المعلمين بالتقنيات الحديثة، يضاف لذلك أن الأنظمة المدرسية لا تتيح المجال لاستخدام شبكات التواصل الاجتماعي مع الطلبة، بل وتمنع استخدامها في الممارسات التدريسية.

#### التوصيات:

استناداً على نتائج الدراسة، يوصي الباحث بالآتي:

1. تدريب المعلمين أثناء على الخدمة على التربية المواطنة.
2. إبراز أهمية المشاركة المجتمعية والسياسية في المناهج الدراسية.
3. حث المعلمين على أن يكونوا القدوة الحسنة في التمسك بالمبادئ والقيم الوطنية.
4. تعزيز فاعلية معلمي الدراسات الاجتماعية في التربية المواطنة وتوجيههم نحو الاهتمام بتوظيفها في الممارسات التدريسية والبيئة المدرسية.

## المقترحات:

يقترح الباحث إجراء مجموعة من الدراسات البحثية المرتبطة بموضوع الدراسة الحالية، وهي:

1. مدى توفر أبعاد المواطنة في فلسفة التعليم العمانية.
2. فاعلية برنامج تدريبي مقترح في التربية المواطنة على أداء المعلمين في الممارسات التدريسية.
3. تصورات المعلمين في تضمين أبعاد المواطنة في مناهج الدراسات الاجتماعية.

## قائمة المراجع:

1. أحمد، فداء حسن الشيخ. (2021) دور معلمي مواد التنشئة الاجتماعية والوطنية في تنمية قيم المواطنة الرقمية لتعزيز القيم الحضارية لدى طلبتهم في المدرسة. مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث 1 (1).
2. الأسمرى، فايز بن علي عبد الرحمن آل صالح. (2021). درجة ترسيخ معلمي الدراسات الاجتماعية والوطنية والتربية الفنية لقيم المواطنة والسلم المجتمعي من خلال التدريس لطالب المرحلة المتوسطة من وجهة نظرهم. مجلة العلوم التربوية. 1 (29).
3. الأمم المتحدة (1949). الإعلان العالمي لحقوق الإنسان. نسخة إلكترونية. تاريخ زيارة الموقع / 20 / 12 / 2018، الرابط: <https://www.un.org/ar/universal-declaration-human-rights/index.html>
4. البدوي، أمل محمد حسن. (2020). دور معلمي مدارس التعليم العام بمدينة أبها الحضرية في تحقيق المواطنة الرقمية لطلابها: رؤية مقترحة. مجلة تطوير الأداء الجامعي. 11 (1).
5. بن عمارة، سمية. (2020). دور المعلم في تنمية قيم المواطنة لدى تلاميذه من خلال النشاطات اللاصفية: دراسة تحليلية على عينة من معلمي المدارس الابتدائية بولاية ورقلة، الجزائر. مجلة تنمية الموارد البشرية. 11 (3).
6. الخريشا، ملوح باجي. (2020). دور معلمي الاجتماعيات في تنمية قيم المواطنة لدى طلبة المرحلة الثانوية في محافظة الأحمدى بدولة الكويت من وجهة نظر الطلبة. المجلة الدولية للدراسات التربوية والنفسية. 8 (2).
7. السعيدى، حميد بن مسلم. (2019). دور مديري المدارس في التربية على المواطنة بمدارس التعليم الأساسي بسلطنة عمان. المجلة التربوية لكلية التربية بجامعة سوهاج. (67).
8. السعيدى، حميد مسلم. (2022). التربية المواطنة في الأنظمة التعليمية العالمية. دار الشرق.

9. السعيد، حميد مسلم؛ الحضرمي، أحمد سعيد؛ البلوشي، فهد عبدالله. (2022). درجة معرفة معلمي الدراسات الاجتماعية بالتربية الوطنية في مدارس التعليم الأساسي بسلطنة عمان. مجلة كلية التربية للبنات، جامعة بغداد.
10. السويدي، جمال سند (2001). نحو استراتيجية وطنية لتنمية قيم المواطنة والانتماء. دراسة مقدمة إلى: ندوة التربية وبناء المواطنة، (29-30) سبتمبر.
11. السيد، أحمد جابر أحمد (1991). مدى فاعلية مقررات الدراسات الاجتماعية ومعلمها في تنمية القيم الخلقية والاجتماعية بالحلقة الثانية من التعليم الأساسي. مجلة كلية التربية بسوهاج، جامعة أسيوط (6)، 1.
12. شعبان، وفاء (2016). التربية الوطنية. بيروت: دار النهضة العربية.
13. عامر، طارق عبدالرؤف (2012). المواطنة والتربية الوطنية، اتجاهات عالمية وعربية. القاهرة: مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع.
14. العرادي، سالم (2004). المؤسسة التعليمية مسئولة عن تعزيز الانتماء الوطني. الرياض: مكتبة العبيكان.
15. العازي، تغريد بنت ضاوي شمروخ. (2023). درجة ممارسة معلمات الدراسات الاجتماعية والوطنية قيم النزاهة في المرحلة الثانوية بالمملكة العربية السعودية كتاب أبحاث المؤتمر الدولي الثالث للتعليم في الوطن العربي: مشكلات وحلول
16. عيوري، فرج عمر. (2005). دور المدرسة الأساسية في تنمية قيم المواطنة لدى التلاميذ للصفوف (7-9). ندوة السياسة التعليمية نحو التحول الديمقراطي والمواطنة، عدن، 11/يوليو، <http://www.wfrrt.org/dtfs.php?ContentID=131>، 2005
17. الفريجات، صباح محمود عبد الرحمن. (2021). درجة ممارسة معلمي التربية الإسلامية لقيم المواطنة في التفاعل الصفوي للمرحلة الثانوية. المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية. 3 (10).
18. فريحة، نمر (2012). من المواطنة إلى التربية الوطنية: سيرورة وتحديات. جبيل: المركز الوطني الدولي لعلوم الإنسان بيبيلوس.

19. الفزاري، عادل إبراهيم (2004) التربية ودورها في إعداد الناشئة. مجلة رسالة التربية، وزارة التربية والتعليم، سلطنة عمان العدد (4).
20. الماجد، علي (2009). التأصيل الشرعي لمفهوم المواطنة. ورقة مقدمة لندوة الانتماء في التعليم العام رؤى وتطلعات والمقامة في رحاب جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الفترة من 1430/3/27.
21. مجلس التعليم. (2017). فلسفة التعليم في سلطنة عُمان. مسقط. <http://www.educouncil.gov.om>
22. محمد، سيدة سلامة. (2021). دور المدرسة في تعزيز التربية من أجل المواطنة العالمية لدى طلابها على ضوء بعض المتغيرات المعاصرة: دراسة تحليلية. مجلة البحث العلمي في التربية. 4 (22).
23. المرهبي، يحيى أحمد (2008). العوامل المؤثرة على قيم المواطنة لدى طلبة المرحلة الثانوية بمحافظة عمران. (رسالة ماجستير غير منشورة). الجمهورية اليمنية، جامعة صنعاء.
24. المشابقة، أمين. (2006). التربية الوطنية. ط8، عمان: دار الحامد.
25. المهيرات، نورا توفيق. (2020). دور معلمي التربية الوطنية والمدنية في تعزيز قيم المواطنة الرقمية لدى طلبتهم من وجهة نظر المعلمين. مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية. 28 (4).
26. نبيه، سرين عبد الحميد (2008). مبدأ المواطنة، بين الجدل والتطبيق. الإسكندرية: مكتبة الإسكندرية للكتاب.
27. النملة، مها بنت علي بن عبد الله. (2022). دور معلمات التربية الأسرية في تعزيز مفاهيم المواطنة الرقمية لدى طالبات المرحلة المتوسطة بمدينة الرياض، المجلة الدولية للدراسات التربوية والنفسية، 11 (2).
28. نوير، عبدالسلام (2005). التعلم كبوتقة للمواطنة، المواطنة المصرية ومستقبل الديمقراطية. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية.
29. Kabiru, M. (1992). Citizenship education in Nigerian junior secondary schools. Dissertation Abstract international. No, AAC 9106534.
30. Karsten, S. & ali. (2002). Citizenship education and the preparation of future teachers. In Asia Pacific Education Review. 3 (2).

- 31.Zaman, H. (2006). Teacher's perceptions of citizenship and citizenship education; a comparative study. (Unpublished thesis, PHD). The Graduate Faculty of School of Education, University of Pittsburgh.

## السكن والسكان ببلاد زعير خلال القرن التاسع عشر

## Population and Population in Zaërs during the Nineteenth Century

د. ميلود سواملة (جامعة ابن طفيل، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، المغرب)

Miloud Soualma (Ibn Tofail University, Faculty of Humanities and Social Sciences, Morocco)

## مستخلص:

يتحدث المقال عن مختلف أنواع السكن الذي كان سائدا ببلاد زعير خلال القرن التاسع عشر، والملاحظ أن ساكنة زعير قد اتخذت من النوالة والكريبي سكنا لها بحكم طبيعة اقتصادها، المعتمد أساسا على الترحال والتنقل بين مناطق الرعي نظرا لسهولة نقل هذا النوع من المباني بين مناطق الانتجاع، أما الجانب الديمغرافي خلال نفس الفترة فقد صادفتنا صعوبات كبيرة لمعرفة بسبب غياب معطيات دقيقة لسكان المنطقة، بحكم تحركها المستمر، ومن ثم تم الاعتماد على طرق جديدة لمعرفة المميزات الديمغرافية للمنطقة خلال الفترة المدروسة.

الكلمات المفتاحية: بلاد زعير. السكن. السكان، النمو الديمغرافي.

## Abstract :

The article discusses the different types of housing that were prevalent in Zaërs during the nineteenth century. It is noteworthy that the inhabitants of Zaërs used the nawala and the karbi as their dwellings due to the nature of their economy, which is mainly based on nomadism and movement between pastoral areas due to the ease of transporting this type of buildings between the areas of production. As for the demographic aspect during the same period, we encountered great difficulties to know it due to the lack of accurate data on the population of the region, due to its continuous movement, and therefore relied on new methods to know the demographic characteristics of the region during the studied period.

**Keywords :** Country of Zaërs, housing, population, demographic growth.

## مقدمة :

يصعب إلى حد كبير الحديث عن التاريخ الديمغرافي للمغرب عامة وقبيلة زعير على الخصوص خلال القرن التاسع عشر، وذلك راجع لسببين رئيسيين، أولهما غياب معطيات إحصائية دقيقة لسكان المنطقة من جهة، وصعوبة تحديد ساكنة البادية ومعرفة تطورها من حيث المواليد والوفيات من جهة ثانية، خاصة إذا كانت القبيلة ذات اقتصاد رعوي بامتياز، كما هو الشأن بالنسبة لقبيلة زعير، حيث التنقل باستمرار من مكان لآخر بحثا عن الكأ للماشية وعن ظروف جيدة للاستقرار، ومن ثمّ فهذا العمل هو محاولة لرصد تطور قبيلة زعير على مستوى السكن والسكان اعتمادا على مجموعة من المعايير التي تم اعتمادها خلال القرن التاسع عشر.

## أولا: السكن

لا تسعفنا الإشارات التي أوردها الرحالة الأجانب في التفصيل عن موضوعي مأكل ومسكن مغاربة القرن التاسع عشر، لأنها تتسم بالتشتت والتعميم<sup>1</sup>. وإذا ما تمت العودة إلى قبائل زعير خلال الفترة نفسها، يلاحظ أن معظم ساكنة القبيلة كانت تعتمد على تربية المواشي والرعي أو على الزراعة، ومن ثم فطبيعة السكن تمثلت في الخيام، أو السكن الحديث الذي بدأ يظهر خلال النصف الأخير من القرن التاسع عشر، بل أصبح سمة رئيسية في المشهد الريفي بزعير<sup>2</sup>، وتعتبر الخيمة نوعا من السكن يعبر عن علاقات اجتماعية معينة، فهي السكن الملائم للترحال، لأن هذا الأخير يقتضي التنظيم الحيثي للمجال، وتستجيب الخيمة لتلك الحاجة<sup>3</sup>.

انتقل المجتمع الزعيري من مرحلة الترحال والتنقل عبر المراعي إلى مرحلة الاستقرار وبداية ظهور النواة الأولى للمراكز أو القرى الممتدة عبر ربوع قبيلة زعير مثل الرماني و البراشوة و الزحيلكة.

ويتضح من خلال المصادر القديمة أن معظم دواوير زعير كانت مشكلة من الخيام وهي الأكثر انتشارا بالمنطقة<sup>4</sup> بالإضافة إلى النوات، رغم أن النوع الثاني دخل إليها عن طريق المجندين السينغاليين في صفوف

<sup>1</sup> - العروي عبد الله، الأصول الاجتماعية والثقافية للوطنية المغربية. 1830. 1912، تعريب محمد حاتمي ومحمد جادور، المركز الثقافي العربي، ط1، 2016، ص:45.

<sup>2</sup> - Bodinier Rajillah Fatima. *Le Pays Zaër au Maroc*, du laboratoire de Géographie rural de l'Université-Paul-Valéry et de L'U.R.A.906 du C.N.R.S. Dynamique de l'espace rural, décembre 1991, p:153.

<sup>3</sup> - بوقرية رحمة، الدولة والسلطة والمجتمع، دراسات في الثابت والمتحول في علاقة الدولة بالقبائل في المغرب، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط 1، فبراير 1991، ص:189.

<sup>4</sup> - Aubert P, *Le Pays des Zaër*, *Bulletin économique et social du Maroc*, Volume. XXIV, Novembre 1960 février 1961, p: 222.

الجيش الفرنسي، ويرجع سبب اعتماد ساكنة القبيلة على الخيام إلى طبيعة نشاطهم اليومي الذي يعتمد على الترحال والتنقل من مكان إلى آخر بحثا عن الكلاً لماشيته، وهي من أقدم أنواع السكن بالمغرب، والأكثر استجابة للتنقل كيفما كانت طبيعة السطح وكيفما كانت أحوال الطقس والمناخ<sup>1</sup>، وكانت الخيام تُضرب على شكل دوائر محصنة بالتلال أو السدر والصبار، ويُستغل الفناء الممتد بين الخيام مرابط وزرائب للمواشي<sup>2</sup>.

وتعتبر الخيمة من أقدم أنواع السكن بالمغرب مع بداية القرن التاسع عشر لكونه ملائما لطبيعة عيش الساكنة المتميز بالتنقل الدائم<sup>3</sup>، وقدرته على التكيف مع مختلف أحوال الطقس، والوضع السياسي المتميز بالتذبذب، وتتكون الخيمة من عدة أفلجة مترابطة ومن الأطراف توجد الركائز، وتنقسم الخيمة إلى قسمين يفصل بينهما فاصل بين الركيزتين الحاملتين للحمّار ويدعى هذا الفاصل "الزحل"<sup>4</sup> يحتوي في الغالب على صندوق خشبي توضع فوقه مجموعة من الأغطية، و"مكحلة" غالبا ما تُربط بالركيزة لتكون في المتناول عند الحاجة إليها، وحتى يراها كل زائر وهذا الركن يكون مخصصا للرجال وللضيوف، ويكون أكثر نظافة ومفروشا بأحسن الأفرشة والوسائد<sup>5</sup>.

وكانت الخيمة الزعرية تصنع من مواد محلية صرفة، خاصة من شعر الماعز الأسود و"البرومي" المنتشر بكثرة بالمنطقة، وتأوي أسرة مكونة من زوج وزوجة وأبناء، ويتكون أثاثها من أدوات منزلية بسيطة وبعض وسائل الدفاع عن النفس كالبنديقية والخنجر، كما يوجد بجانب الخيمة فرن وبستان صغير ومطامير لخزن الحبوب<sup>6</sup>، وكان مجموع الخيام يُكون دوارا، وقد قدر الرحالة الإيطالي "إدموندو": أن عدد سكانه يتراوحون بين عشرة وعشرين أسرة، غالبا ما كانت تجمعها رابطة القرابة الدموية<sup>7</sup>، ويتم تخصيص خيمة داخل كل دوار بهدف تعليم القرآن للأطفال، من خلال الاعتماد على الحفظ، كما كانت هذه الخيمة مكانا لصلاة الجمعة والتجمع لاتخاذ بعض القرارات التي تخص الدوار<sup>8</sup>.

<sup>1</sup>. شكاك صالح، مادة الخيمة، معلمة المغرب، ج12، ص: 2878.

<sup>2</sup>- Nouvel Suzanne, **Nomades et sédentaires au Maroc**, Emile Larose, Paris, 1919, pp:82-83.

<sup>3</sup>- Le Coz Jean, **Le Rharb, fellahs et colons**. Étude de géographie régionale, Inframar, Rabat, 1964, p:345.

<sup>4</sup>. <sup>4</sup>. Loubignac Victorien, **Textes arabes des Zaër, Transcription, traduction, notes et lexique**, Paris, Librairie orientale et Américaine Max Besson, VII.1952, p :142.

<sup>5</sup>. شكاك صالح، "مادة الخيمة"، معلمة المغرب، م س ص: 3878.

<sup>6</sup>-De Amicis, Edmondo, **Le Maroc**, Traduit de l'Italien par Henri Belle, Librairie Hachette, Paris 1882, p: 179.

<sup>7</sup>- De Amicis Edmondo, Op.cit, p :179.

<sup>8</sup>- Deply A., **La tente au Maroc**, Cahier des Arts Techniques d'Afrique du Nord, Imprimerie de L'essor, Tunis 1956, pp :15- 23.

على الرغم من تراجع الخيم في السنوات الأخيرة إلا أنها لازالت حاضرة في بعض المناطق، وتم توارثها والحفاظ عليها من طرف البدو الرحل الذين لا يملكون قطعة أرضية، وينتقلون من مكان إلى مكان آخر خاصة جنوب زعير كالغوامل والزحليكة، حيث تمثل نسبتها 30% أي بمعدل 19% من المعدل العام لمنطقة زعير، وبنسبة 27% بمولاي إدريس أغبال بالشمال الشرقي، 18% بالرماني<sup>1</sup>.

حافظت الدواوير على السكن المتجمع في أماكن معروفة بهدف ضمان الموارد المائية من جهة وكلاً المشية من جهة ثانية، وقد توزعت بشكل متباين بعيداً عن مجرى الأنهار والمستنقعات، وبالتالي فالعامل الطبيعي والتنظيمي عنصران مهمان من عناصر الاستقرار، أما الدواوير المهتدة بالغارات الليلية فالضرورة الأمنية فَرَضت على الساكنة تنظيم الحراسة الليلية بالتناوب.

واعتبرت معظم الدراسات أن الخيمة سكن خاص بالفقراء والخمسين<sup>2</sup>، بينما الواقع غير ذلك فهناك العديد من الأسر الغنية التي اتخذت من الخيمة مسكناً لها رغم توفرها على عدد مهم من رؤوس المشية، والسبب في ذلك هو التنقل وعدم الاستقرار من جهة، ثم سهولة تفكيك الخيمة عند الضرورة من جهة أخرى، ثم رغبة العديد من الأسر التملص من الضرائب التي كان يفرضها المخزن على الأسر المستقرة، ويتضح ذلك من خلال الحجم الكبير لبعض الخيام التي كانت في ملكية وجهاء زعير<sup>3</sup>.

أما القسم الثاني فيكون مخصصاً للنساء والطبخ، يحتوي على كانون وهو عبارة عن حفرة محاطة بثلاث قطع من الحجر تسمى "المناصب"، وبعض الأواني الخزفية مثل "الفراخ" و"المجمر" و"الطاجين"<sup>4</sup>.

وتعيش معظم العائلات الزعرية حوالي 60% في مبان جد بسيطة مثل الخيام والنوالات والأكواخ والمباني من القصدير بينما نجد 20% فقط من يقطنون داخل مبان صلبة<sup>5</sup>.

وقد عُرف سكان زعير بكثرة ترحالهم، يتنقلون خلال فصل الخريف إلى المناطق السهلية القريبة من الماء حيث يقضون الأيام الأخيرة منه هناك، أما عند حلول فصل الشتاء فإنهم يعودون إلى بلادهم التي لم تحرث

<sup>1</sup> - Bodinier Rajillah Fatima, *Le pays Zaër au Maroc*, Op.cit, p:152.

<sup>2</sup> .بوشعراء مصطفى، علاقة المخزن بأحواز سلا، قبيلة بني احسن 1860 – 1912 م، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية الرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم 19، الطبعة الاولى، 1966، ص:24.

<sup>3</sup> .ابن سودة محمد بن عمر المري، قبيلة زعير قديماً وحديثاً، الجزء 1، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1977، ص:106.

<sup>3</sup> - نفسه، م س، ج 1، ص:98.

<sup>4</sup> .شكالك صالح، الخيمة، معلمة المغرب، م س ص:3878.

<sup>5</sup> - Bodinier Rajillah Fatima, *Le pays Zaër au Maroc*, Op.cit, p:152.

لسنة كاملة، وهكذا يعملون على تنظيم إقامتهم بصفة دورية طيلة السنة، لذلك فساكنة زعير كانت تفضل السكن في الخيام لأنها أسهل عند التحول والانتقال<sup>1</sup> والانفلات من المتابعة<sup>2</sup>، ولم يألف سكان زعير سوى سكني الخيام التي كانت تحتوي عليها القبيلة، إذ لا تكاد تجد عندهم ذكرا للدور المبنية ولو على الطراز القديم، كما هو الحال في بعض جهات البادية بالمغرب، لكونهم يبنون دورهم بالطين، ولم يحدث بناء الدور بزعير إلا في العهد الحديث أيام الحماية<sup>3</sup>.

#### • نموذج للخيمة :



مصدر الصورة معلمة المغرب، الجزء 12، ص: 388

تميز نمط عيش أهل زعير بعدم الاستقرار، فهم سكان نصف رُحْل<sup>4</sup>، كان الرعي نشاطهم الأساسي والخيمة السوداء المنسوجة من شعر الماعز مأواهم، وتعد السكن الرئيسي للفلاح الصغير<sup>5</sup>، إضافة إلى النواله التي كانوا ملزمين باستبدال سقفها الخارجي المهترئ قبل موسم

الأمطار، وكانت تكلفتها تختلف حسب نوعية الجلود ونوعية الركائز المكونة للنواله، إذ كانت التكلفة تتجاوز 12.000 فرنك، أما النواله ذات الجودة العالية فقد كانت تكلفتها تصل إلى 60.000 فرنك، ولها قدرة كبيرة على مواجهة الأمطار، بسبب شكلها الأسطواني المخروطي<sup>6</sup>، فهي أكثر أمنا وراحة من النوع الأول، وتعتبر النواله فضاء دخيلا على العمران بزعير، حيث جيء بها مع دخول الفرق السنغالية المجندة في صفوف قوات الاحتلال الفرنسي وشكلت بديلا عن "الكربي Gourbi"<sup>7</sup>، وانتشر هذا النوع من البنايات على نطاق واسع في منطقة زعير خاصة بالجهة الشمالية الغربية، ففي سيدي بطاش وصلت نسبة هذه البنايات 70 % وسيدي يحيى زعير

1. ابن سودة محمد، م س، ص: 99.

2. نفسه.

3. الخديبي علال، م س، ص: 99.

4- الزين عبد الفتاح، مادة رُحْل، معلمة المغرب، الجزء 13، ص: 4294.

5 -Aubert P, Le pays des Zaër, Op.cit, p: 222.

6. رويان بوجمعة، الطب الكولونيالي الفرنسي بالمغرب 1912-1945، مطابع الرباط نت، ط 1، 2013، ص: 56.

7. عبارة عن بناية صغيرة، يتم بنائها عن طريق نسج قطع من الدوم أو من القصب.

بنسبة 73%، كما نجد نسبة 76% بعين العودة، بالمقابل نجد هذه النسب منخفضة نسبيا في الزحليكة بنسبة 54% يعكس هذا النوع من السكن الوضعية الهشة التي كانت تعيشها قبائل زعير<sup>1</sup>.

### • نموذج الكُربي :



المصدر: بوجمعة رويان، الطب الكولونيالي، بالمغرب  
1912-1945، مطابع الرباط نت، ط 1، ص: 57.

كان سكان زعير يتنقلون من مكان إلى آخر على شكل دواوير حسب فصول السنة ما بين الهضاب وضاف الأودية والغابات<sup>2</sup>، ومع استقرار الاستعمار الفرنسي في بداية القرن العشرين بالمنطقة، توقفت هذه العادة، فبعدها كان السكن عبارة عن خيام (100% قبل سنة 1912)، ظهرت "النوايل" المصنوعة من القش

والقصب (10% إلى 20% بعد سنة 1912) واتخذها العمال الزراعيون سكنا لهم، وكان هذا النوع من السكن سببا في استقرار السكان بمراكز الاحتلال القروية وهوامش ضيعات المعمرين.

كانت ساكنة زعير ترحل بخيامها على شكل دواوير، والدوار عندهم يتجاوز خمسة عشر خيمة، وعندما يقل عن ذلك يسمى رسما، وأقل من عشرة خيام تسمى "النزلة"<sup>3</sup> التي كانت تبنى أساسا من القصب والتبن<sup>4</sup> وتتواجد على طول طريق المخزن<sup>5</sup>، ولازالت بعض البنايات في الرماني والبراشوة تسمى إلى يومنا هذا بالنزلة<sup>6</sup>. أما الفخدة فتضم دواوين أو أكثر، أي مجموعة من الكوانين، والدوار له طريقة خاصة في بناء الخيام الذي يكون

<sup>1</sup> - Bodinier Rajillah Fatima, *Le pays Zaër au Maroc*, Op. cit. p:155.

<sup>2</sup>. التركي بوعبيد، "الخيمة الزعرية ومكوناتها"، جريدة زعير 24 الإلكترونية، 23 غشت 2017.

<sup>3</sup>. Loubignac Victorien, *Textes Arabes des Zaër*, Op.cit. p:128.

<sup>4</sup>. ابن سودة محمد، مرجع سابق، ص: 98.

<sup>5</sup>. السبتي عبد الأحد، بين الزطاط وقاطع الطريق أمن الطرق في مغرب ما قبل الاستعمار، الطبعة الأولى، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 2009، ص: 40.

إعتنى بعض الرحالة الأوربيين بذكر مواقع التزايل التي مروا بها مثل:

A. Brives, *Voyage ou Maroc*, 1901- 1907 Ed. Alger, 1909, p:18.

<sup>6</sup>. مكان يوجد في نهاية كل مرحلة، ينزله المسافرون والقوافل التجارية آمنين على أنفسهم ومتاعهم. عبد الرحمان بن زيدان، العز والوصول في معالم نظم الدولة، الجزء الأول، مطبوعات القصر الملكي الرباط، 1961، ص: 410.. الخديصي علال، التزايل والمواصلات والتدخل الأجنبي في المغرب خلال القرن التاسع عشر، هسبيريس تمودا، عدد 1993، ص: 7 - 21.

على شكل دائري، وكل خيمة تتكفل بإغلاق الفوهة التي توجد عن يمينها خصوصا بالليل، لأن وسط الدائرة المكونة للخيام تكون بمثابة حظيرة للماشية تسمى "المراح"، ويتم عمل هذا التقسيم صيفا، حيث تقل فيه السرقة لكون القمر ينير مدة أطول، وبالتالي لا بأس في إحداث بعض الفجوات بين الخيام، أما إذا تم الإحساس بنوع من الزيغ والسيبة فيتم تضيق الفجوات، فهي بمقدار شبر لا أكثر، وتسمى بـ"الترعة" ويطلق عليها "سرابة" حينما تكون بمقدار شبر<sup>1</sup>، ويتوسط هذه الخيم "مسجد" يطلقون عليه "بيت ربي" ينزل به الفقيه ليعلم الصغار ويؤم بالمصلين.

وتطور السكن تدريجيا بمنطقة زعير ليظهر نوع آخر عبارة عن "براريك" من الخشب والقصدير التي بدأت تعوض الخيمة، ثم المنازل أي "الدور" بالمناطق المحاذية للطرق المعبدة والمجاورة لضيعات المعمرين خاصة بالبراشوة والرماني ومرشوش، فيما بقي السكن عبارة عن خيام في المناطق البعيدة عن الطرق المجاورة للغابات.

وهكذا كانت ساكنة زعير تعمل على تنظيم مكان نزولها أحسن تنظيم حتى تكون كل الفرق متمتعة بإقامتها ومطمئنة على أولادها ومالها وماشيتها، ولا يلحقون ضررا بجوارهم في دخولهم وخروجهم وبذلك تستقيم أحوالهم ولا يجدون مشقة في ذلك ولا يرون في هذه الإقامة والتجمع ما يكدر صفو عيشهم<sup>2</sup>.

وقد وجدت في البوادي إلى جانب "الخيمة" و"النوالة" و"الكربي" مساكن بنيت من الحجر أو من الطين المعجون مع التبن ويسمى السباع ويعرف محليا "بالمقدار"، مغطاة بأغصان الأشجار أو بعمد مصطفة تعلوها طبقة من الطين<sup>3</sup>.

لم يختلف سكن مغاربة القرن التاسع عشر. خاصة البوادي. عما تورده كتب الجغرافيا البشرية في شأن أشكال السكن في الوقت الراهن<sup>4</sup>، فقد ميز الرحالة الأجانب بوضوح بين المداشر والدواوير، كما دلت النوات في رأيهم على وجود استقرار نسبي داخل الدواوير، في حين ظل استعمال الخيمة<sup>5</sup> مرادفا للتنقل والترحال<sup>6</sup>.

<sup>1</sup>. Loubignac Victorien, *Textes Arabes des Zaër*, Op.cit, p: 128.

<sup>2</sup>. ابن سودة، م س، ص:100.

<sup>3</sup>. رويان بوجمعة، م س، ص:56.

<sup>4</sup>- Le Coz Jean, *Le Rharb fellahs et colons*, Op.cit, pp:343.345.

<sup>5</sup>. كانت الخيمة تتوفر على مجموعة من الأواني مثل القصعة والطاسة والبرمة، والمغرب ومغارف صيكوك، والحلاسة مكان جلوس المرأة والسطل والمناصيب والخباز، والحطب الموجود قرب الكانون، انظر Loubignac Victorien, *Textes Arabes des Zaër*: ص:144.

<sup>6</sup>. العروي عبد الله، الأصول الاجتماعية والثقافية للوطنية المغربية، 1912. 1830، م س، ص:46.

وكانت بعض الخيام كبيرة كونها لا توقف حمايرها إلا باستعمال الجرار لكبرها وثقل وزنها وكانت بمثابة قصور متنقلة مزخرفة بالرّمم والموزون وتدل على الجاه وعلو قدر مالكيها.

### ثانيا: السكان :

عرفت زعير تعميرا بشريا قديما تشهد عليه بقايا ما قبل التاريخ<sup>1</sup> ومن الصعب تحديد عدد ساكنة زعير خلال القرن التاسع عشر نظرا لغياب إحصائيات سكانية حولها، بل لمعظم البوادي المغربية خلال الفترة نفسها، حيث طبع الترحال هذه المرحلة باستمرار، وتم الاعتماد على طرق أخرى لتحديد عدد الساكنة لعل أهمها التركيز على عدد الكوانين ونسبة المجندين في "الحركة".

يقصد بالكانون كل الأشخاص الساكنين في محل واحد، والمكونين لمجموعة عائلية تعتبر واحدة عند توزيع التكاليف أو تقسيم المنافع، لكن الإشكالية هنا تكمن في صعوبة تحويل عدد الكوانين إلى عدد محدد من الأشخاص في جميع الحالات<sup>2</sup>، فمن مكان إلى آخر ومن عصر إلى آخر يعطي الكانون عددا مختلفا من السكان، وكل تعميم في هذا المجال يعد ارتيابا، كما أن العدد الاجمالي للدواوير والخيام لا يعطي صورة ولو تقريبية عن عدد الخيام بالنسبة لكل دوار، وبالتالي لا يوفر إمكانية تتبع التزايد أو التراجع في صفوف الفرق الملتحمة أو المتفرقة بسبب ظروف ذاتية أو موضوعية<sup>3</sup>.

هناك طريقة أخرى يتم فيها الاعتماد على عدد المجندين بهدف معرفة عدد السكان،<sup>4</sup> حيث تنطلق من كون أن جميع البالغين الذكور الذين يقدرون بثلاث مجموع السكان، ملزمون بحمل السلاح باستثناء الربع المتكون من الشيوخ وبعض المرابطين<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - Aubert P, Le pays des Zaër, Op. cit, p: 213.

<sup>2</sup> -G. Salmon, *La tribu des fahcya*, Archives Marocaines, T 1, p :228.

<sup>3</sup> .شكالك صالح، ورديفة الكبرى 1873.1956، مساهمة في تاريخ الجهات بالمغرب المعاصر، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، 2010، ص:45.

<sup>4</sup> - التوفيق أحمد، المجتمع المغربي، (إينولتان 1850-1912)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 63، ط 3، 2011، ص:184.

<sup>5</sup> - André Nouschi, *Enquête sur le niveau de vie des populations rurales constantinoises de la conquête jusqu'en 1919*, Essai d'histoire économique, p :142.

كما قام الضابط الفرنسي لاراس<sup>1</sup> (Larass) مع نهاية القرن التاسع عشر بتقديرات عامة لسكان مختلف القبائل المغربية، من خلال ضرب عدد المجندين في ثمانية أو تسعة، لكن لا نعرف ماذا كان يقصد بعدد المجندين بالنسبة إليه، هل هم المجندون في صفوف القبائل أم المجندون في جيش المخزن<sup>2</sup>.

ففي سنة 1890 بعث القائد بوعدة بن الشريقي رسالة إلى السلطان المولى الحسن يصف فيها بعض النزاعات التي كانت بين بعض القبائل، حيث تحدث القائد عن عدد مهم من الخيام المتواجدة بالرواشد، وتقدم لنا هذه الرسالة أرقاما تقريبية لسكانة هذه المنطقة: «[...] ومنهم من لا زال تالفا وتمهت بهم مائة وأربعون خيمة نهبوها لهم بني خيران وإخوان القائد المعطي الضحاك وكذلك محلة سيدنا مالا وخياما ومساجين ورؤوس من الرواشد فقط [...]»<sup>3</sup>.

يطبع توزيع ساكنة زعير تباينا كبيرا، إذ توجد الساكنة بشكل أكبر في المجالات التي تعرف تربة خصبة وجيدة وموارد مائية مهمة، أما الكثافات الضعيفة فتتمركز أساسا بالمجالات الغابوية والأراضي ذات التربة الضعيفة، ويُعد الرماني من أهم المراكز التي استقطبت ساكنة مهمة بفعل تواجد جل المصالح الإدارية والاجتماعية به، وتوفره على معامل كانت سببا في جلب العديد من أبناء المناطق المجاورة.

#### خاتمة:

يتضح أن ساكنة زعير عرفت تطورا سكانيا لا بأس به مع نهاية القرن التاسع عشر، بفعل تواجد عدة تجمعات سكانية بالقرب من مركز الرماني والبراشوة وعين العودة، لكن خلال النصف الثاني من هذا القرن عرفت الساكنة انخفاضا واضحا، ويعزى ذلك إلى الهجرة المكثفة للساكنة خارج منطقة زعير في اتجاه المدن المجاورة للبحث عن فرص شغل أكبر خارج القطاع الفلاحي الشيء الذي كان له الأثر البالغ على ساكنة المنطقة التي عرفت نزيفا ديمغرافيا حادا شأنها في ذلك شأن باقي القبائل المغربية الأخرى خاصة بعد احتدام المآسي الناجمة عن تعاقب سنوات الجفاف خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حيث تكاثرت الاضطرابات جراء انهيار المحاصيل الزراعية، وتعددت النزاعات بين القبائل حول المراعي والماء، والارتفاع المهول للأسعار، وتوالي المجاعات والأوبئة.

<sup>1</sup> هو قبطان تم تعيينه من طرف الوزير الفرنسي، مساعدا في البعثة الفرنسية بطنجة في 22 شتنبر 1896 التي كان يرأسها القائد Burckhardi.

<sup>2</sup> - أ التوفيق أحمد، المجتمع المغربي، م س، ص: 184.

<sup>3</sup> - الوثيقة في ملكية عبد الكريم الفيلاي، نقلا عن بوعبيد التركي.

## قائمة المصادر والمراجع:

1. العروي عبد الله، الأصول الاجتماعية والثقافية للوطنية المغربية، 1830. 1912، تعريب محمد حاتمي ومحمد جادور، المركز الثقافي العربي، ط1، 2016.
2. بورقية رحمة، الدولة والسلطة والمجتمع، دراسات في الثابت والمتحول في علاقة الدولة بالقبائل في المغرب، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط 1، فبراير 1991.
3. شكاك صالح، مادة الخيمة، معلمة المغرب، ج12، ص: 2878.
4. بوشعراء مصطفى، علاقة المخزن بأحواز سلا، قبيلة بني احسن 1860 – 1912م، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية الرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم 19، الطبعة الاولى، 1966.
5. ابن سودة محمد بن عمر المري، قبيلة زعير قديما وحديثا، الجزء1، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1977.
6. الزين عبد الفتاح، مادة رُحْل، معلمة المغرب، الجزء13.
7. رويان بوجمعة، الطب الكولونيالي الفرنسي بالمغرب 1912-1945، مطابع الرباط نت، ط 1، 2013.
8. التركي بوعبيد، "الخيمة الزعرية ومكوناتها"، جريدة زعير 24 الإلكترونية، 23 غشت 2017.
9. السبتي عبد الأحد، بين الزطاط وقاطع الطريق أمن الطرق في مغرب ما قبل الاستعمار، الطبعة الأولى، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 2009.
10. الخديمي علال، النزائل والمواصلات والتدخل الأجنبي في المغرب خلال القرن التاسع عشر، هسبيريس تمودا، عدد 1993.
11. شكاك صالح، ورديفة الكبرى 1873.1956، مساهمة في تاريخ الجهات بالمغرب المعاصر، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، 2010.
12. التوفيق أحمد، المجتمع المغربي، (إينولتان 1850-1912)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 63، ط 3، 2011.
13. Bodinier Rajillah Fatima. **Le Pays Zaër au Maroc**, du laboratoire de Géographie rural de l'Université-Paul-Valéry et de L'U.R.A.906 du C.N.R.S. Dynamique de l'espace rural, décembre 1991.
14. Aubert P, **Le Pays des Zaër**, Bulletin économique et social du Maroc, Volume. XXIV, Novembre 1960 février 1961.

15. Nouvel Suzanne, **Nomades et sédentaires au Maroc**, Emile Larose, Paris, 1919.
  16. Le Coz Jean, **Le Rharb, fellahs et colons. Étude de géographie régionale**, Inframar, Rabat, 1964.
  17. Loubignac Victorien, **Textes arabes des Zaër, Transcription, traduction, notes et lexique**, Paris, Librairie orientale et Américaine Max Besson, VII.1952.
  18. De Amicis, Edmondo, **Le Maroc**, Traduit de l'Italien par Henri Belle, Librairie Hachette, Paris 1882.
  19. Deply A, **La tente au Maroc**, Cahier des Arts Techniques d'Afrique du Nord, Imprimerie de L'essor, Tunis 1956.
  20. Le Coz Jean, **Le Rharb, fellahs et colons. Étude de géographie régionale**, Inframar, Rabat, 1964.
  21. G. Salmon, **La tribu des fahcya**, Archives Marocaines, T 1.
  22. André Nouschi, **Enquête sur le niveau de vie des populations rurales constantinoises de la conquête jusqu'en 1919**, Essai d'histoire économique.
-



## جهاد المرأة الجزائرية في الثورة (الجندي الخفي)

**The Algerian Woman's Struggle in the Revolution (The Invisible Soldier)**

ط.د. فارس هادية (جامعة 9 أبريل 1938، تونس)

Fares Hadia (University of April 9, 1938, Tunisia)

**Abstract :**

The Algerian woman stood alongside the man from the outbreak of the Liberation Revolution, with all the strength and determination she possessed. Her actual support was reinforced by her joining the armed struggle, as she enlisted to serve the revolution by heading to the mountains. There, she declared the strength, ferocity, and resilience of the Algerian woman, expressing her rejection of the violations suffered by the Algerian people. She strived and fought to expel the colonizer and eradicate its profane presence in the Arab and Islamic lands. She lived in the mountains, caves, and grottoes, playing the roles of mother, wife, nurse, and, when necessary, taking up arms. Through this research paper, we will attempt to shed more light on the pioneering and revolutionary role played by women during the glorious Liberation Revolution. We aim to highlight the contributions of the women of the revolution and affirm their heroic and honorable role, proving to the world the supportive presence of women alongside men in the pursuit of freedom and independence.

**Keywords :** Revolution - Colonization - Women - Independence - Freedom.

## مستخلص:

وقفت المرأة الجزائرية منذ اندلاع الثورة التحريرية بجانب الرجل بكل ما أوتيت من قوة وعزم، وقد تدعم وقوفها الفعلي من خلال انضمامها إلى الكفاح المسلح، فتجندت لخدمة الثورة من خلال التحاقها بالجبال، لتعلن عن قوة وشراسة ونضال المرأة الجزائرية، ولتعبّر عن رفضها للانتهاكات التي يعانيها الشعب الجزائري، سعت وجاهدت لطرد المستعمر والقضاء على وجوده المدنس للعروبة والإسلام، فسكنت الجبال والكهوف والمغارات، فكانت الأم والزوجة والممرضة، وتحمل السلاح إذا دعت الضرورة، ونحن من خلال هذه الورقة البحثية سوف نحاول تسليط الضوء أكثر عن الدور الريادي والثوري الذي لعبته المرأة أثناء جهاد ثورة التحرير المجيدة، ونعرف أكثر برموز الثورة من الجانب النسوي ونؤكد على دورهن البطولي والمشرف، ونبرهن للعالم حضور المرأة الداعم للرجل من أجل الظفر بالحرية والاستقلال.

الكلمات المفتاحية: الثورة - الاستعمار - المرأة - الاستقلال - الحرية.

## مقدمة:

لطالما ساندت المرأة الجزائرية الرجل في كفاحه ونضاله في سبيل الحرية والسيادة والكرامة، فهي الأم والزوجة والأخت والبنات والسند والاحتواء والأمان، إذ دعمت الرجل ماديا ومعنويا، وقدمت المرأة الجزائرية عبر التاريخ مواقف بطولية ظلت خالدة إلى يومنا هذا، تعبر عن قوى وصلابة هذه المرأة الحديدية، من خلال تقلدها لعدة مناصب أثناء الثورة التحريرية، فكانت الطيبية التي تداوي جراح المجاهدين والزوجة التي تربي الأطفال وتوفر الحاجيات اليومية للرجل والثوار، كما كانت الأخت التي تدعم الثورة بالكتابة والعلم، كما كانت البنات والأمل وشعاع المستقبل، وشاركت مع الرجل في حمل السلاح وواجهت العدو، وتكبدت المعاناة من جوع وبرد وظلم من طرف العدو الغاشم من أجل تحقيق العدالة وتحرير الأرض وحفظ العرض والشرف، فطالما أثبتت المرأة الجزائرية للعالم ولفرنسا خاصة عن قوتها وصلابتها ودعمها للرجل، مؤكدة أن ما ينتزع بالقوة يسترجع بالقوة، وأنها قادرة على تحمل الصعاب وتقلد عدة أدوار، فهي جزائرية حرة مناضلة وأم وزوجة مقاتلة وأخت شريفة وطاهرة مقاومة تسعى للاستقلال.

وعليه يمكننا طرح الإشكالات الآتية:

– ما مدى مساهمة المرأة الجزائرية في خدمة الثورة التحريرية؟ وهل انحصرت مجهوداتها داخل الوطن فقط؟ أم استطاعت أن تتخطى الحدود الوطنية؟ وهل حملت المرأة مشعل الثورة بجانب الرجل؟ وماهي المحطات المهمة والمناصب التي شغلتها أثناء ثورة التحرير؟  
الفرضيات:

- كانت للمرأة الجزائرية مكانة ودور جبار في الثورة.
  - تجاوزت المرأة العراقل والحواجز الداخلية والخارجية من أجل المشاركة في ثورة التحرير.
  - نجح المرأة الجزائرية الحرة الأبية بالقيام بأدوارها الثورية المتعددة على أكمل وجه.
- الهدف من البحث: الوقوف أكثر على أهمية المرأة الجزائرية أثناء الثورة لإبراز قوتها ودعمها المتواصل لمساندة الرجل والمجاهدين، ولإحياء بطولاتها وإنجازاتها التاريخية ونقلها للأجيال للتعريف بها وتخليدها.
- أسباب وبدايات التحاق المرأة بالثورة:

أفرز اندلاع ثورة التحرير الجزائرية الكبرى في الفاتح من نوفمبر 1954 وضعا اجتماعيا جديدا دفع بقادتها إلى تعميم مشاركة العنصر النسوي باعتباره يشكل في نظر "جبهة التحرير الوطني" قوة هائلة وذات أهمية أساسية في دعمها ومساندتها، وضرورة تفرضها متطلبات الثورة التحريرية، وقد وجدت المرأة في هذه الخطوة الهامة متنفسا لها، فأطلقت العنان للقوى الكامنة فيها، واندفعت تؤدي واجبها بكل ثبات وصدق، فقد سارعت المرأة الجزائرية بعد إعلان ثورة أول نوفمبر إلى دعم القضية والمشاركة فيها، سعيها منها للكفاح والمقاومة، فكانت المرأة مثالا يحتذى به في النضال والصبر والجهد، ولا تزال لليوم مثالا للقوة والمقاومة والشرف، ومثال تلك البطلات العظيمات "الكاهنة" و "فاطمة نسومر" فقد سجلن صفحات من ذهب في ملحمة المقاومة ضد المستعمر قبل أول نوفمبر وأثناء حرب التحرير المجيدة".<sup>1</sup>

لم يقتصر التحاق النساء بالمقاومة على المتزوجات فقط أو الكبيرات في السن، بل جمعت المقاومة بين عدة أصناف من النساء فكانت العازبة والأرملة والمتزوجة والبنت والأخت، كلهن اجتمعن على هدف وغاية واحدة هو تحرير الأرض المقدسة وفداء الجزائر بالغالي والنفيس، رغم الصعوبات الذاتية والداخلية الصادرة من طرف الأسرة في بادئ الأمر، ويمكن إبراز الدور الاجتماعي الذي لعبته المرأة منذ بداية الثورة من خلال بعض

<sup>1</sup> بالي بلحسن: المرأة الجزائرية خلال حرب التحرير، 1954-1962 منشورات تالية الأبيار، 2014، ص 9.

الشهادات التي أدلت بها بعض المجاهدات، حيث تقول السيدة "فاطمة علال": "في بداية الثورة كانت النساء تتوزع الأعمال التي تتعلق بتموين جيش التحرير الوطني، وعندما اشتد البطش الاستعماري وتعرض الرجال للقتل والنفي والتشريد، التحق معظمهن بصفوف جيش التحرير الوطني، إذ يجمعن مختلف المؤن وغير ذلك في أكياس يحملها ويغطيها بالنفايات حتى لا يكتشفها جنود العدو، ثم يحملنها على الحمير ويتجهن إلى مراكز استقبال المجاهدين<sup>1</sup>.

فقد جاءت المرأة الجزائرية أثناء الحقبة الاستعمارية هي وصغارها، وهمشت ومارس عليها الاستعمار قوانيننا ظالمة من خلال زرع الجهل والفتن، وحرّم أولادها من التعليم، ومن العيش الرغد مثل أقرانها الفرنسيين، فالمرأة آنذاك كانت تلاحظ هذه الفروقات والانتهاكات في حقها وفي حق صغارها.

لعل من الأسباب التي كانت كفيلة بانتفاض المرأة وحملها للسلاح في وجه العدو وثورتها عليه من أجل إعادة حقوقها المسلوبة والمنتهكة وفرض وجودها كامرأة لها كيان ووجود عربي مسلم وأصيل رافض للانتهاكات وللهمجية الفرنسية. كانت بداية التحاق المرأة بالثورة محتشمة مقتصرة على فئات قليلة جدا من أرامل الشهداء، أو أخواتهم، في حين عزوف الفئات الأخرى لعدة عوائق والتي أبرزها أن معظمهن كن أمهات يحملن مسؤوليات الأسرة والبيت والأولاد، لكن مع تواصل نداءات الثورة وبعض الجمعيات الجزائرية ومن أهمها جمعية العلماء المسلمين التي حثت على الجهاد والثورة، سارعت جميع الفئات النسائية للالتحاق بالثورة وحمل السلاح بالجبال، لتتوسع وتزيد مسؤولياتهن تجاه الوطن وزاد تواصلهن بقيادة الثورة وحاولن أن يعثرن على خيوط اتصال بالمجاهدين، وذلك من خلال "أحد الأقارب أو الجيران أو صديقاتهن المنظمات من قبل إلى الثورة، وبعد إلحاح المرأة ونقل رغبتها إلى المسؤولين وبعد التأكد من هويتها ونيتها في العمل الثوري تعلم بتجهيز نفسها، وفي اليوم المحدد تأتي سيارة وتنقلها إلى مركز القيادة، وبمجرد الوصول إلى الجبل تستقبل من طرف القائد أو نائبه" ولم يقتصر الدور الاجتماعي للمرأة الجزائرية على الخياطة، وتموين جيش التحرير الوطني، بل قامت بدور المرشدة الاجتماعية في الوسط النسائي سواء في القرى أو الأرياف، فكانت تستغل المناسبات الكثيرة التي تسمح بتجمع النسوة مثل أفراح الزواج والختان والوفيات وزيارة الموتى في المقابر، وفي ذلك تقول السيدة زكية بوضياف: "كنا نعطي النساء دروسا في التوعية السياسية، بحيث نشرح للقرويات أهمية الثورة وأهدافها،

<sup>1</sup> أنيسة بركات درار: نضال المرأة خلال الثورة التحريرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1995، ص7.

وحقيقة الاستعمار الفرنسي، كما كنا نعطي دروسا في التربية الاجتماعية تتعلق بكيفية تربية الأطفال وطريقة معالجتهم ونظافتهم، و كل ما يفيد العائلات في التداير المنزلية والحياة الصحية".<sup>1</sup>

حاولت المرأة من خلال جهادها إلى بعث رسالة للمستعمر وللعالم بأسره بأن المرأة الجزائرية قادرة على تقلد كل الأدوار بما فيها الجهاد وافتكالك النصر ومقاومة المستعمر والانتصار عليه ميدانيا"، فنهضت هذه المرأة مسلحة بإيمان راسخ وإرادة قوية وحيوية دافقة تكافح الأعداء في القرى والمدن والجبال الشامخة وفي ساحات المعارك، فتغيرت مفاهيمها وتبلورت أفكارها وبرزت شخصيتها بفضل الثورة التي انتشلتها من أعماق البيوت وغياهب الظلمات وأخرجتها إلى عالم جديد معرجة بها إلى آفاق البطولة والحرية"، فأصبحت المرأة الجزائرية تقدم الغذاء والشراب والمؤونة للمجاهدين وتنظف ثيابهم، وتسهر على راحتهم، وتشجعهم بالزغاريد والأغاني لتقوية نشاطهم وإيمانهم.

### 1) مهام المرأة وإسهاماتها في الثورة التحريرية:

#### أ. النضال السياسي:

تقلدت المرأة الجزائرية أدوارا بارزة ومهمة عند التحاقها بجيش التحرير الوطني، فبعد التأكد من صدق وحسن نواياها وحسن سيرتها من طرف القادة والثوار، أوكلت لها عدة أدوار ومناصب أحيانا تفوق جهدها كونها امرأة ضعيفة البنية وتغلب عليها العاطفة، لكن هذا لم يمنع من إصرار هذه المناضلة والمجاهدة من مواصلة كفاحها ودعمها ومساندتها المطلقة للثورة وهذا إيمانا منها بضرورة افتكالك النصر والصبر على الشدائد والعقبات، من أجل الوصول إلى الهدف المنشود وهو الاستقلال، وقد "تابرت المرأة على إثبات وجودها النضالي السياسي والاجتماعي، وساهمت في الحركة الإصلاحية، كما أنها شاركت قدر استطاعتها في الحركات والمنظمات الوطنية، إذ اهتمت بالأحداث المؤلمة التي آلمت الشعب آنذاك وشاركت في المظاهرات الصاخبة وساعدت إخوانها المسجونين والمنكوبين في المعتقلات والسجون".<sup>2</sup>

وعند ظهور الحركة الوطنية السياسية في مطلع القرن العشرين واكبتها المرأة كما واكبت قبلها المقاومة المسلحة، فالحركة الوطنية أولت عناية بها وشجعتها على التعلم وامتهان الحرف المختلفة وعلى تطوير حياتها الاجتماعية والاقتصادية، وحاربت معها القيود التي كانت تعيقها على النهضة والتطور، فتجاوزت مع حركات

<sup>1</sup> ياقوت كلاخي: مساهمة المرأة في الثورة الجزائرية: مريم مختاري نموذجاً، مجلة عصور الجديدة، ع 2، 2019، ص 54-64.

<sup>2</sup> بركات درار: المرجع السابق، ص 7-22.

الإصلاح النسوية العربية مشرقا ومغربا، فقد تم تشكيل أول نواة للطالبات ابتداء من سنتي 1944-1945 وكن بالرغم من عددهن الضئيل آنذاك يشاركن في نشاط جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا، وكان نشاط الطالبات في الجمعية جد فعال، إذ كن يحضرن الاجتماعات السياسية ويشاركن في النشاطات الثقافية.<sup>1</sup>

وقد تميز نضالها السياسي بحرصها الشديد على التمسك بمقومات هويتها وأصالتها وشخصيتها الفذة، فقد حاولت الحفاظ على مبادئها الإسلامية ومحاربة دعوات التنصير والتجهيل، كما رفضت الأسلوب الاستبدادي الذي انتهجته فرنسا الاستعمارية تجاه الشعب الأعزل، فقد واجهت المرأة كل التحديات والعقبات الفرنسية من خلال التركيز أكثر على تعليمها وتمسكها بدينها وعفتها وحشمتها، وحتى أن البعض منهن التحقن بجمعيات العلماء المسلمين وتواصلن معها من أجل الحفاظ على الهوية والثوابت وانتشال الجيل الجديد من الظلام والجهل، وقسمت المهام بينهن وتواصل دعمهن ونضالهن السياسي من خلال المظاهرات والكتابة وتدريب الأطفال، وكذا الهجرة إلى دول المغرب العربي خاصة تونس لنقل صدى الثورة والتعريف بها والبعض الآخر منهن قمن "بإعداد الأدوية وخياطة الملابس العسكرية والأعلام الوطنية، وبعضهن تهتم بالكتابة على الآلة الراقنة لإعداد التقارير السياسية والمناشير والمعلومات الحربية وغيرها".<sup>2</sup>

فقد أعربت المرأة الجزائرية عن دعمها التام واللامحدود من خلال نضالها في الثورة، لتزيد من عزم وطموح المجاهدين والشعب، فكن مثالا يقتدي به في العالم كله وقد أعطت هؤلاء النساء الأوائل في الثورة صورة مرضية عن المرأة المتقدمة الراقية التي يفتخر بها المجتمع الجزائري في ذلك العهد.<sup>3</sup>

وقد توسع النضال السياسي للنسوة الجزائريات ليصل صداها إلى تونس، إذ قامت ثلة من المناضلات بتنظيمات سياسية كان لها الأثر البالغ في دعم الثورة سياسيا وزيادة الوعي الداخلي والخارجي بأهمية وعدالة الثورة، حيث توج هذا النضال بتأسيس اتحاد النساء الجزائريات بتونس عام 1958 والذي نشط من جهته وقام بعدة أعمال نضالية لصالح الثورة منها جمع التبرعات وربط الصلات، وتنسيق العمل مع المنظمات النسوية العربية والعمالية وخصوصا المغاربية.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> عباس أسماء نور الإيمان - بن سعيد هجيرة: دور ومكانة المرأة في المجتمع الجزائري خلال فترة الاحتلال، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ المغرب العربي، جامعة تيارت، 2017-2018، ص 24-28.

<sup>2</sup> محمد الشريف عباس وآخرون: كفاح المرأة الجزائرية، المركز الوطني للدراسات والبحث، دار هومة، الجزائر، 2007، ص 360.

<sup>3</sup> بركات درار: المرجع السابق، ص 22.

<sup>4</sup> عبد الله مقلاتي: دور بلدان المغرب العربي وأفريقيا في دعم الثورة الجزائرية، الجزائر، 2009، ص 78.

ولم يتوقف النضال السياسي للمرأة عند هذا الحد، ولم تكتف حرائر الجزائر بنقل صوت الثورة للخارج ودعمها ماديا ومعنويا، بل واصلن كفاحهن السياسي الرفض للاحتلال من خلال المشاركة في المؤتمرات والندوات العالمية على مستوى البلدان المجاورة، وكذا إفريقيا للتعريف بالثورة وقضيتها العادلة، والمطالبة بتقرير المصير والوحدة الترابية للجزائر وطرد الاحتلال، كما قامت المرأة بالانخراط في التنظيمات السياسية والفدائية، وكانت شعلة في نقل التعليمات والقيام بالاتصالات، كما قامت بجمع المعلومات عن نشاط العدو والخونة واستطاعت أن تضم العديد من الأوروبيات من الحركات التحررية والمسيحية، وأدت هؤلاء المناضلات دورهن كاملا في إطار المقاومة الجزائرية.<sup>1</sup>

### ب. النضال الثوري:

شاركت المرأة الجزائرية في الكفاح ضد قوات العدو بصفة فعالة وشجاعة لا تزحزحها المحن، فجندت بالمدن والجبال وزجت في السجون والمعتقلات، كما كانت حاضرة وبقوة في مختلف التظاهرات والمسيرات والاضرابات، إننا لا نستطيع أن نوفي المرأة الجزائرية حقها خلال ثورة حرب التحرير، لأنها كانت دائما في الطليعة، أعطت درسا لا ينسى لأخواتها في كل دول العالم الثالث عامة والشعوب العربية الإسلامية خاصة، أين اعتبرت رائدة في المقاومة من أجل الحرية، كانت المرأة في المغرب العربي وفي الجزائر خاصة في طليعة الحرب ضد الغزاة، إذ كانت المرأة في مستوى المهام المسندة إليها، فمن مشاركتها المباشرة في الأعمال الفدائية إلى تواجدها الحاسم والفعال في الثورة على مستوى كل التراب الوطني في المدن كما في الجبال، من الأوراس إلى منطقة القبائل وإلى غاية الجنوب الجزائري الشاسع.<sup>2</sup>

تمكنت من تبوء مكانة ثورية وشرفية داخل صفوف جيش التحرير الوطني، وواصلت دعمها وكفاحها المسلح مع المجاهدين، وكلها عزم وإصرار على تقديم الغالي والنفيس والفداء بالروح من أجل الاستقلال وطرد الاستعمار الغاشم لهذا يعتبر كفاح المرأة الثوري المسلح من أبرز المنعرجات الحاسمة في تاريخ المرأة والجزائر ككل، فهي مثال حي على وعي المرأة الجزائرية وإصرارها وعزيمتها اللامتناهية فقد أحدثت مشاركة المرأة في الكفاح المسلح إلى جانب الرجل انقلابا جذريا في المفاهيم والأفكار.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> الشريف عباس: المرجع السابق، ص 195.

<sup>2</sup> بلحسن بالي: المرجع السابق، ص 10.

<sup>3</sup> مختار بونقاب: مساهمة المرأة الجزائرية في الثورة الجزائرية، مجلة الحوار المتوسط، ع6، 2014، ص 190.

واتجهت الأنظار صوب المرأة الجزائرية من كونها ربة أسرة بسيطة، وربما ضعيفة في نظر العدو وجاهلة إلى امرأة حديدية صلبة مقاومة، شرسة ومثقفة ومتعلمة ومناضلة لها من الإمكانيات ما تواجه به العدو وتقضي عليه وتضعف عزيمته، فالمجاهدة الجزائرية تميزت بالروح القتالية والفدائية، وكذا التحلي بالصبر يقينا منها بافتكالك النصر والظفر به وطرده الاستعمار والوصول إلى الهدف المنشود، "وأثبتت بأنها جديرة على أن تقوم برسالتها النضالية"<sup>1</sup>.

وخلال الفترة الممتدة بين 1956 و1962 كانت المهام المسندة للمرأة متنوعة وخطيرة، إذ كانت تقل الأسلحة والقنابل من المعسكرات إلى قلب المدينة ثم تسترجعها بعد نهاية العمليات العسكرية، كما كانت تنقل الرسائل والمعلومات وتجمع أموال الاشتراكات، كما تنوعت المهام بين ممرضات وكاتبات وطباخات وغاسلات ثياب الجنود وغيرها من الأعمال الخطيرة والمجازفة كتخبئة الرسائل والتستر على مخابى الجنود، وهكذا التحقت الكثيرات منهن بالمقاومة، عازبات تلميذات في الثانويات وأمهات أحيانا<sup>2</sup>، فلم تخف من شراسة المعارك في الجبال، ولم يقلل دوي الانفجارات من عزمها وإصرارها، ولم يضعفها أو يحبطها سقوط الجرحى والشهداء من حولها، بل زادها قوة وتحديا وإقداما والبحث على مواصلة المهمة الشريفة، لتؤكد حضورها ووجودها الدائم والتميز كامرأة لا تخشى الصعاب<sup>3</sup>.

إذ كانت أغلب مهامها فدائية تتوسط الجموع وتحمل القنابل، أو مسبلة وظيفتها نقل الاتصال بين جبهة التحرير والثوار، وأحيانا تقوم بتمويه العدو على أنها أوروبية وتنظم إلى المناضلات، حيث كان هذا العمل يقوم وفق سرية تامة ومحكمة من قبل المجاهدات والفدائيات، وكانت له ثماره ونتائجه الإيجابية، من خلال تنظيم عمل هؤلاء النسوة وحنكتهن في تنفيذ الخطط والمطلوب منهن، وبهذا تكون المرأة الجزائرية قد قامت بواجبها على أتم وأكمل وجه وأتقنت المهام الموكلة إليها بكل دقة وتنظيم "وقامت بخدمة الثورة التحريرية في قلب المدينة بشجاعة وصبر وثبات، واجتازت في سبيل تحقيق هدفها النبيل مراحل صعبة"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> مصطفى عوفي: نضال المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية، رؤية سوسيولوجية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ع112، 2005، ص 53.

<sup>2</sup> بلحس بالي: المرجع السابق، ص 10-11.

<sup>3</sup> يمينة بشي: مآثر المرأة الجزائرية خلال قرن من الاحتلال، مجلة المصادر، ع4، 2000، ص 84.

<sup>4</sup> خديجة لصفير خيار: النداء الخالد مذكرات مجاهدة، الجزائر، طبعة خاصة، 2012، ص 95.

## (2) جميلات الثورة الجزائرية:

أولكت للمرأة أدوار ومهام بطولية عديدة داخل صفوف جيش التحرير، حيث قام الثوار بتوزيع المهام عليهن حسب كفاءتهن وقدرتهن، فنجحت مجموعة من النسوة في تنفيذ الواجب وإكمال عملهن على أكمل وجه، ولعل الأسماء كثيرة ومتعددة لبطلات الجزائر اللاتي ذاع صيتهن داخلها وخارجها وأصبحن قدوة ومثالا على نضال وقوة وثورة المرأة وجرأتها وحنكها.

### 1. جميلة بوحيرد:

جميلة بوحيرد هو اسم غني عن التعريف، فهي شخصية مناضلة وقوية، هي من جميلات الجزائر، كان لها صدى عالمي واسع، عرف العالم بثورتها وقوتها وشجاعته ونضالها، فقد أثنى العالم بأكملها على دورها البطولي، فكان شغفها وحبها للثورة والاستقلال من أهم الدوافع التي أدت إلى التحاقها بالثورة سنة 1956 ويعود الفضل في ذلك إلى عمها مصطفى بوحيرد الذي كان من أوائل من حملوا السلاح في وجه العدو في العاصمة وكان عنصرا فعالا في الثورة، وبعد اعتقال وسجن وقتل عمها واصلت جميلة بوحيرد عملها النضالي وصارت من العناصر الفاعلة في الثورة التحريرية بالعاصمة.<sup>1</sup>

قامت "بوحيرد" بعدة أعمال فدائية ونضالية كان أهلها تفجير القنابل في الملاهي الليلية والتي أسفرت عن قتلي وجرحى من جانب الأوربيين، فكثفت من هذه العمليات وكلفت أيضا بعدة مهام من طرف جيش التحرير الوطني منها الاتصال ونقل القنابل والهجوم على الثكنات العسكرية، لكن سرعان ما اكتشف أمرها إثر دورية حربية فرنسية حيث "اصطدمت بها دورية فرنسية هي واثنان آخرا كانوا ملثمين في وسط حي القصبة، وبعد إطلاق النيران هرب الشخصان الآخران وبقيت جميلة طريحة الأرض بعد إصابتها بجروح بالغة".<sup>2</sup>

وألقي القبض عليها من طرف الجيش الفرنسي ووجدت بحوزتها مجموعة من الوثائق المهمة التي تخص الثورة، وتم اعتقالها، ومن ثم تعذيبها،<sup>3</sup> واستمرت عملية استنطاقها 17 يوما "وإثر اكتشاف أمرها وأمر الوثائق تمكنت السلطات الفرنسية من العثور على معلومات في غاية الأهمية وأسرار تخص جبهة التحرير ومواقع الأسلحة الخاصة بهم وكميتها، وكما تعرف العدو على الوظيفة الأساسية التي شغلها "جميلة بوحيرد" لتكون

<sup>1</sup> نوارة سعدية جعفر: سلسلة حوارات ولقاءات مع مجموعة من مجاهديات ثورة أول نوفمبر 1954 الخالدة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر، 2002، ص 9-10.

<sup>2</sup> بسام العسلي: المرجع السابق، ص 13.

<sup>3</sup> أرنو، جروح، جاك فيرحن: دفاعا عن جميلة بطلة العرب في الجزائر، دار العلم للملايين، بيروت، 1958، ص 8.

هي الجوهرة الثمينة التي يبحث عنها المستعمر وعثر عنها دون قصد أو انتباه منه، وقد "ظلت جميلة رغم جراحها النازفة تحت التعذيب الوحشي، ولقيت هذه البطلة على أيدي الجلادين الفرنسيين عذابا تقشعر له الأبدان وتنظف منه القلوب"<sup>1</sup>.

وبعد ذلك تم حبسها وتعذيبها بشتى الطرق وأهينت كرامتها ومورست عليها أبشع وأفظع الأساليب وضافت جل أنواع الإساءة والتعذيب النفسي والجسدي داخل السجون الفرنسية، بعد ذلك تمت محاكمتها وأصدر في حقها أمر بالإعدام لعدم كشفها للمعلومات التي تخص المجاهدين، وعدم إفصاحها عن انضمامها وعملها داخل صفوف جيش التحرير الوطني، وبعد محاكمتها غير العادلة رفض العديد من المحامين الفرنسيين الدفاع عنها، فرغم ما تعرضت له من تعذيب واستفزاز لم تكشف ولم تبوح عن أي سر ولم تتفوه بأية كلمة، ولم يتلقى منها المستعمر إلا الصمت والصد، حتى بعد أن تم الحكم عليها بالإعدام بقيت صامدة واثقة من نفسها ومصرة على حريتها قائلة في ذلك "أنا لست نادمة على ما فعلته أنا مصرة على ذلك ولو تحصلت على حريتي لعدت إلى الكفاح من جديد"<sup>2</sup>.

## 2. جميلة بوباشا:

هي إحدى النسوة الجزائريات الثائرات والمناضلات اللائي واجهن العدو بكل شراسة وعزيمة، التحقت بصفوف جيش التحرير في سن مبكرة ولم يفرها صغر سنها ولا جمالها من التحلي برزانة ورجاحة العقل، تميزت بالحنكة السياسية وقوة شخصيتها، وعزيمتها الكبيرة لمواصلة الجهاد وافتكاك النصر، حيث انضمت للثورة عام 1955 وهي تلميذة، اقتصر دورها في البداية على نقل الأدوية وإيواء المناضلين المطاردين، كانت على صلة وثيقة مع جبهة التحرير الوطني.

أولت لها عدة أعمال ونشاطات مساندة وداعمة للثورة رغم صغر سنها، إلا أنها أكملت واجبها على أكمل وجه في سرية تامة بعيدا عن شكوك الاحتلال الفرنسي.

بقيت "جميلة بوباشا" تقوم بأعمالها الجليلة بكل جدية وعزم، وهذا ما زاد من ثقة جيش التحرير في شخصها، وكلفت بتوزيع المناشير والدعاية للثورة وتربط الاتصال بين المجاهدين<sup>3</sup>، وتزيد من دعم الثوار فهي

<sup>1</sup> محمد الصالح الصديق : كيف ننسى وهذه جرائمهم ، دار هومة للطباعة والنشر، 2005، ص 194.

<sup>2</sup> أنيسة زباني، شيراز بلدهم: دور المرأة الجزائرية في الثورة التحريرية، الجميلات الثلاث أنموذجا، دامعة العربي التبسي، تبسة، 2019، ص 61.

<sup>3</sup> رابع لونيبي، مريم سيد علي مبارك: رجال لهم تاريخ متبوع بنساء لهن تاريخ، دار المعرفة، الجزائر، 2010، ص 446-447.

لا تعرف التعب أو الملل ولم تبالي بالموت الذي يترصدها ويلاحقها هي وأخواتها المجاهدات بالرغم من صعوبة المهمة إلا أنها تحدت كل المطبات والعوائق، فصمدت في وجه العدو وواصلت نضالها الشرفي مكثفة الأعمال الفدائية بوضع قنابل في المقاهي والساحات العامة، وفي أوساط الفرنسيين فزعزعت سكينتهم، فمن هذا المنطلق أرادت أن تؤكد لهم شرعية نضالها وكفاحها وحقها في الحرية والاستقلال والعيش بأمن وسلام، رغم ما تعرضت له من تعذيب وإساءة بعد اكتشاف أمرها من قبل العدو سنة 1959، مورس عليها أشد العقاب والإهانات النفسية والجسدية، ولعل أبشع حادثة تعرضت لها وحزت في نفس كل من سمعها هو الاعتداء عليها أمام أنظار والدها الذي وقف عاجزا عن مسانبتها أو مساعدتها، لقد تركت هذه الحادثة ألما وقهرا كبيرين في نفس كل جزائري غيور على وطنه وشرفه وعرضه،

حملت "جميلة بوباشا" صفة المرأة المناضلة والمكافحة والمجاهدة الفذة، كما أنها كانت رمزا للصمود والقوة والإيمان، لذا لم تتراجع عن موقفها وثورتها بل زادها إصرارا وعزما لمواصلة مشوارها الثوري النضالي الداعم للثورة.<sup>1</sup>

### 3. جميلة بوعزة:

جميلات الجزائر كثيرات وبطولاتهن متعددات ومواقفهن البطولية كثيرة وخالدة عبر التاريخ، تكشف عن جمال وقوة النساء الثوريات الجزائريات، فقد كن جميلات شكلا وروحا، صغيرات عمرا ذكيات فهما وعقلا، بارعات ثوريا، شرسات بطوليا وميدانيا، لا يحد عزيمتهن إلا الاستشهاد، إذ كن قدوة للنساء الثائرات والعيقات المؤمنات باستقلالهن وحريةهن، عازمات على النصر أو الاستشهاد ولا مجال للمناقشة في هذا المجال، التحقت "جميلة بوعزة" بثورة التحرير عام 1956 وهي مازال طالبة بالثانوية عملت بالمجموعات المسلحة بالعاصمة، فقامت بوضع عدة قنابل في أماكن يتردد عليها المستعمر<sup>2</sup>، فتردهم قتلى وجرحى وتمكن من النجاح في المهمة التي أوكلت إليها، وتؤكد لجيش التحرير بأنها أهل للنضال وللثورة، فقدمت كل الدعم والمساندة للمجاهدين رغم صغر سنها.

ما ساعد المناضلة على تنفيذ خطتها شكلها الأشقر الذي يوهم الفرنسيين على أنها فرنسية، فاستغلت شكلها ومواصفاتها التي تشبه الأوروبيين لتتسلل داخل أوساطهم وتنفذ المهمات الموكلة لها، حيث كانت أول

<sup>1</sup> رابع لونيبي، مريم سيد علي مبارك: المرجع السابق، ص 445.

<sup>2</sup> بشير هزروشي: خنساوات الجزائر، منشورات عالم السعادة، 2017، ص 23.

عملية كلفت بتنفيذها في شارع ميشلي ديدوش مراد حاليا وذلك خلال شهر نوفمبر 1956، إذ تلقت قنبلة كبيرة من زميلتها "جميلة ب"، وقطعت بها العديد من الحواجز لتضعها كما هو مخطط لها في مبنى بجانب مصعد.<sup>1</sup> ونفذت العملية وتكللت بالنجاح، لتزيد من ثقة جيش التحرير فيها وتتدعم هي الأخرى بثقة وطموح عاليين لمواصلة عملياتها ومهامها بكل عزم وإقبال، وتثبت بأنها قادرة على النضال وعلى مواجهة العدو والاحتلال الفرنسي رغم صغر سنها، وعدم تجربتها الكافية في الميدان الثوري، فهي بجمالها الفاتن استطاعت بكل سهولة اختراق الأوساط التي تريدها دون إثارة انتباه العدو.

وواصلت "جميلة بوعزة" عملياتها التفجيرية الواحدة تلو الأخرى متنقلة بين المقاهي والملاهي الليلية منفذة لواجبها النضالي، ووضعة قنابلا استطاعت من خلالها قتل العديد من الفرنسيين، وهذا ما زاد من اعتماد جيش التحرير عليها أكثر في القيام بمثل هذه العمليات، حيث قام بزيادة تكثيف المهام لها، إلى أن كشف أمرها وتم اعتقالها سنة 1957 وتمت محاكمتها وتعذيبها أشد العذاب الذي لا يتحمله بشر، وسجنت ليحكم عليها في الأخير هي وبعض رفيقاتها بالإعدام، وبعد عدة مطالبات أفرج عنها وأطلق سراحها وتقول "بوعزة" عن ذلك اليوم: أنه أروع يوم لأنه فيه عادت من جديد إلى الحياة ورأت النور والحرية في الجزائر التي منحت لها، وعاشت حياتها بعد الاستقلال امرأة من هذا الوطن أدت واجبها نحو وطنها، وقد كرمت "جميلة بوعزة" لأنها توصف (بإحدى الجميلات الثلاث) في مصر بعد لقاء "جمال عبد الناصر"، وتوفيت المجاهدة عن عمر ناهز 78 سنة.<sup>2</sup>

#### خاتمة:

وقفنا من خلال البحث على جملة من المواقف البطولية والمهام التي أسندت للمرأة أثناء ثورة التحرير المجيدة، والتي من أبرزها ما يلي:

- وقوف المرأة جنبا إلى جنب مع الرجل وتقاسمت معه الجهاد، بالرغم من أن التحاقها بالنضال كان محتشما بسبب أعراف وتقاليد المجتمع الجزائري الذي يفرض على المرأة القيام بالواجبات المنزلية والأسرية.
- أدى تدني الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية بالمرأة للالتحاق بصفوف جيش التحرير الوطني، وكلهن ثقة وهمة وطموح عازمات على المشاركة في الأعمال الثورية وطرد المستعمر.

<sup>1</sup> حسينة حامد: شهادات وحقائق عن نضال جميلة بوحيرد (تاريخ الثورة الجزائرية ودور المرأة فيها)، 2010، ص 31.

<sup>2</sup> أنيسة زباني، شيراز بلشهب: المرجع السابق، ص 82-83.

—انقسم عمل المرأة أثناء التحاقها بثورة التحرير إلى نوعين عمل سياسي وعمل ثوري، فالأول كان يقتضي المشاركة في الملتقيات والمؤتمرات والهجرة لتونس والمغرب لأجل التعريف بالقضية الجزائرية والقيام بمظاهرات صاحبة للضغط على المستعمر، بالإضافة إلى خياطة المناشير والأعلام والقيام بمهام الاتصال بين المجاهدين، أما العمل الثوري فكان عن طريق الالتحاق المباشر بالجبال والتدريب على حمل السلاح، ونقل القنابل وتفجيرها في الأماكن والساحات العامة، وكذا المقاهي والأماكن الليلية الخاصة بالمستعمر.

—وقفت المرأة الجزائرية في أداء مهامها السياسية والثورية ونجحت في تخطي وتحدي الصعاب وتمكنت من تقمص عدة أدوار كما تقلدت مراتبا قيادية مساندة للرجل، فكانت محل ثقة وأمان ومثال على الصمود والصبر.

#### قائمة المصادر والمراجع:

1. أرنو جروح-جاك فيرحن: دفاعا عن جميلة بطلة العرب في الجزائر، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1958.
2. أنيسة بركات درار: نضال المرأة خلال الثورة التحريرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
3. أنيسة زباني-شيراز بلشهب: دور المرأة الجزائرية في الثورة التحريرية، الجميلات الثلاث أنموذجا، دامة العربي تبسي، تبسة، الجزائر، 2019.
4. بالي بلحسن: المرأة الجزائرية (خلال حرب التحرير 1954-1962)، منشورات تالية، الأبيار، 2014.
5. بسام العسلي: المجاهدة الجزائرية، دار النفائس، بيروت، لبنان، 2010.
6. بشير هزرشي: خنساوات الجزائر، منشورات عالم السعادة، الجزائر، 2017.
7. حسينة حامد: شهادات وحقائق عن نضال جميلة بوخيرد "تاريخ الثورة الجزائرية ودور المرأة فيها"، 2010.
8. خديجة لصفير خيار: النداء الخالد "مذكرات مجاهدة"، طبعة خاصة، 2012.
9. خديجة لصفير خيار: النداء الخالد "مذكرات مجاهدة"، الجزائر، طبعة خاصة، 2012.
10. رايح لونيبي-مريم سيد علي مبارك: رجال لهم تاريخ متبوع بنساء لهن تاريخ، دار المعرفة، الجزائر، 2010.
11. عباس أسماء نور الإيمان-بن سعيد هجيرة: دور ومكانة المرأة في المجتمع الجزائري خلال فترة الاحتلال، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ المغرب، جامعة تيارت، الجزائر، 2017-2018.

12. عبد الله مقلاتي: دور بلدان المغرب العربي وإفريقيا في دعم الثورة الجزائرية، الجزائر، 2009.
13. محمد الشريف عباس وآخرون: كفاح المرأة الجزائرية، المركز الوطني للدراسات والبحث، دار هومة، الجزائر، 2007.
14. محمد الصالح الصديق: كيف ننسى وهذه جرائمهم، دار هومة للطباعة والنشر، 2005.
15. مختار بونقاب: مساهمة المرأة الجزائرية في الثورة الجزائرية، مجلة الحوار المتوسط، ع6، 2014.
16. مصطفى عوفي: نضال المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية "رؤية سوسيولوجية"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع112، 2005.
17. نوارة سعدية جعفر: سلسلة حوارات ولقاءات مع مجموعة من مجاهدات ثورة أول نوفمبر 1954 الخالدة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.
18. ياقوت كلاخي: مساهمة المرأة في الثورة التحريرية الجزائرية: مريم مختاري نموذجاً، مجلة عصور الجديدة، ع2، 2019.
19. يمينة بثي: مآثر المرأة الجزائرية خلال قرن من الاحتلال، مجلة المصادر، ع4، 2000.





DOI Prefix:10.33685/1316

جميع الحقوق محفوظة © لمركز جيل البحث العلمي